التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 175 السنة العشرون - يونيو 2022

تحوّلات المدينة الخليجية وآفاقها

البحرينى قرار .. لا خيار 21-20

عشرون عاماً من الحياة النيابية في البحرين 22

مدن بحرية جديدة .. لمن؟ 23

موقفنا

بدايات الحراك الانتخابي

ابتدأت الصحف في البحرين برصد الحراك الانتخابي، استعداداً للانتخابات النيابية والبلدية القادمة المزمع إجراءها في نوفمبر/ تشرين ثاني القادم، حيث تطالعنا هذه الصحف بأسماء مرشحين محتملين، سواء كانوا لمجلس النواب أو للمجالس البلدية، ويضم ما يجري تداوله من أسماء بعض النواب الحاليين الذين ينون إعادة ترشيح أنفسهم، إضافة إلى أسماء جديدة عديدة، بعضها سبق لأصحابها الترشح في انتخابات سابقة.

لا يقتصر الأمر على ما تنشره الصحف من أخبار وتوقعات، فوسائل التواصل الاجتماعي والحسابات الإخبارية على "انستجرام" وسواه تبدي بدورها اهتماماً بموضوع الانتخابات القادمة، وإن تفاوتت المقاربات بين من يحث على المشاركة والتصويت، ومن يرى أن لا جدوى من ذلك لأن المخرجات لن تتغير، وأن المجلس القادم لن يكون أفضل من المجلس المنقضية ولايته أو المجالس السابقة، إن بالنظر إلى من سيشكلون قوامه أو بالنظر إلى محدودية الصلاحيات المتاحة للمجلس.

وإذا كنا نوافق بالتأكيد على العامل الأخير، أي ضعف صلاحيات المجلس، وهو أمر شارك نواب بالفصلين التشريعيين السابقين في تفاقمه بتصويتهم بالموافقة على "تعديلات" نالت من صلاحية المجلس، لكننا لا يمكن أن نوافق الذين يرون أنه لا مجال لتحسين قوام المجلس القادم، في حال اختار النواب مرشحين أكفاء، وطنيين، مخلصين، يتحلون بالنزاهة والاستقامة والإنحياز لحقوق الناس ومصالحهم، فلدى الناخبين إرادة يمكن أن يجسدوها بالملموس في التصويت، خاصة وأن تجربة ملموسة أمام أعينهم كشفت لهم معدن بعض من صوّتوا لهم في الانتخابات الماضية، ولما فازوا بعضوية مجلس النواب أداروا ظهورهم لمصالح ناخبيهم وللوعود التي أطلقوها في حملاتهم الانتخابية.

مثل هؤلاء النواب يجب ألا يعودوا للمجلس ثانية، وكل من هم على شاكلتهم من المرشحين الجدد، الذين ليس من الصعب معرفتهم، فالمرشح الكفؤ صاحب الرؤية والبرامج الواضحة والتاريخ الوطني أو النقابي او المهني المشرف يفصح عن نفسه، وما على الناخب إلا الإهتداء له ومنحه الثقة.

ومحل فخر لنا نحن في المنبر التقدمي أن نوابنا أعضاء كتلة "تقدّم"، قدموا، وعلى قلة عددهم، أداءاً نيابياً مشرفاً في كافة الملفات التي جرت مناقشتها في الفصل التشريعي المنقضي، مؤكدين أهمية أن يكون النائب ممثلاً لتنظيم سياسي ملتزم بحقوق الشعب ومخلص لها، وثقتنا كبيرة في أن ناخبي الدوائر التي ستقدّم "تقدّم" مرشحين فيها لن يترددوا في منحهم الثقة.

التقدمي

مركزية التقدمي: ضرورة تقليص أعداد العاطلين بتوفير فرص عمل لائقة للخريجين

دعت اللجنة المركزية للمنبر التقدمي الدولة إلى تجنيب العمال والفقراء وذوي الدخل المحدود من القرارات الاقتصادية المجحفة، وطالبت بالعمل على توفير مناخات اجتماعية ومعيشية وإسكانية تناسب الجميع.

وأكدت اللجنة المركزية في بيان خلصت إليه بعد انتهاء أعمال انعقادها على: «ضرورة العمل على تقليص لأعداد العاطلين عن العمل بتوفير فرص عمل لائقة للخريجين»، وطالبت: «بتحديد بعض المهن والوظائف وقصرها على المواطنين فقط أسوة بالدول الشقيقة في دول مجلس التعاون».

كما استعرض البيان: «مساوئ النهج النيوليبرالي المتبع في سياسة الدولة وأثره المباشر في استفحال أزمة الوضع المعيشي والمالي للمواطنين بما انتهت إليه من قرارات مؤلمة على الحياة المعيشية والاستقرار الاجتماعي في عدة مجالات، ومنها قطاع المحروقات والكهرباء والماء التي بدأت في استنزاف جيوب المواطنين من الطبقات الفقيرة والمتوسطة»، وتابعت: «إضافة إلى القوانين والقرارات التي طالت مكتسبات المواطنين وصناديق الإدخار بسن الضرائب ورفع نسبتها ووقف الزيادة السنوية للمتقاعدين».

وأشار البيان إلى أن: «أهمية توظيف المردود المالي لارتفاع عائدات النفط بعد ارتفاع سعر البرميل بضعفي سعره المقدر في الميزانية السنوية المقررة للعام الجاري، للاستفادة منها في دعم القطاعات المنتجة في الاقتصاد المحلي، وتحسين قطاعات الخدمات في التعليم والعمل والصحة والإسكان والكهرباء والماء، ووضع البرامج والخطط لرفع كفاءة الكادر الوطني في قدراته وأدائه الوظيفي».

واعتبر البيان بأن: «من أسباب ضعف الأداء التشريعي والرقابي للمجلس النيابي، غياب تمثيل الجمعيات السياسية بالثقل المناسب، بوصفها مكوّنًا حيًا في البناء السياسي، يمتلك مشروعه الخاص ويمكنه توظيف إمكاناته وكوادره في النقد والرقابة والتشريع واقتراح القوانين والحلول البديلة، بدلاً من تدخل المال السياسي لدعم وصول بعض العناصر «المستقلة» التي تفتقد لتلك الإمكانات وتغيب لديها البرامج الفعالة والتنسيق، مما يؤدي إلى تغليب سياسة التنفيع وتداخل عملها مع العمل البلدي، ما يفسد العملين التشريعي والبلدي في آن»، مضيفاً: «كما أن من عناصر ضعف أداء المجلس المنتخب هو تقليص دورهم في المحاسبة والمناقشة والنقد للسلطة التنفيذية».

وشدد البيان على: «أهمية توسيع صلاحيات المجلس النيابي الكاملة من حيث التوزيع العادل للدوائر الانتخابية، وإعادة النظر في سياسة العزل السياسي، وتعزيز أدوات مجلس النواب الرقابية والتشريعية من خلال إصلاح اللائحة الداخلية للمجلس».

التقدمي يدين اغتيال الإعلامية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة

عبّر المنبر التقدمي في بيان له عن إدانته للجريمة التي اقترفتها قوات الاحتلال الصهيوني باغتيال الإعلامية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة بإطلاق الرصاص على رأسها أثناء أدائها مهامها مع فريق من زملائها، حيث أصيب أيضاً الإعلامي علي السمودي برصاصة في ظهره، دون اكتراث بالحماية التي يجب أن تؤمن للصحفيين والإعلاميين أثناء تأديتهم واجباتهم في تغطية الأحداث.

وقال التقدمي بأن: «هذه الجريمة البشعة تؤكد، مجدداً، الوجه العدواني والإجرامي لقوات الاحتلال الصهيوني في مواجهة الشعب الفلسطيني المناضل من أجل حقوقه المشروعة في الاستقلال الوطني وإقامة دولته الوطنية المستقلة على أراضيه، واستهتارها بالمواثيق والمعايير الدولية المرعية»، مشدداً على: «تواطؤ الدول الإمبريالية مع المحتل وتسترها على جرائمه البشعة ضد المدنيين العزل، وانتهاك حرمة المناطق الفلسطينية وتدمير بيوت الأهالي».

وأكد التقدمي رفضه: «لسياسات التطبيع مع العدو الصهيوني»، داعياً: «لإعادة النظر في هذه السياسات، والعمل على بلورة موقف عربي مشترك متضامن مع الشعب الفلسطيني ورافض للمحتل وسياساته».

استهلت بوقفة حداد على روح الشاعر مظفّر النوّاب

أمسية سينمائية شعرية للأديب عبدالله حبيب

استضاف «التقدمي» الأديب والسينمائي العماني المعروف عبدالله حبيب في أمسية سينمائية شعرية، استهلت بوقفة حداد على روح الشاعر العراقي مظفّر النواب، وعرض خلالها فيلم «أصابع» لحبيب، ثم تحدث حبيب عن التفاعل الكبير والخلاق بين عمان والبحرين وشعبيهما وحركتهما الوطنية والثقافية، قبل أن يقرأ نصوصاً مختارة من مجموعاته الشعرية المتعددة، التي تكتنز تجربة شعرية مهمة، في السياق الشعري العماني والخليجي.

تلى ذلك حوارات مهمة بين الحضور النوعي الذي تميزت به هذه الأمسية وعبدالله حبيب، دارت حول فيلمه وحول تجربتيه الشعرية والسينمائية، وحول الحركة الثقافية والأدبية في عمان.

فضفضة

الحلقات الأضعــف

عيسى الدرازي

لا يحتاج البحريني سوى الدعم ليحوز السبق. المعرض الدولي للعلوم والهندسة الذي أقيم في ولاية جورجيا الأمريكية شهد حصول طلبة المملكة العربية السعودية على 22 جائزة في مجالات الطاقة والكيمياء والعلوم الاجتماعية والسلوك وعلوم النبات وعلوم المواد والهندسة البيئية والتقنيات الهندسية والعلوم الطبية الانتقالية، كل ذلك بالطبع لم يأتِ من فراغ، بل نتيجة طبيعية لما تمّ اعتماده من نهج لتطوير العملية التعليمية والعمل على ابتعاث العديد من الطلبة للدراسة في الجامعات، والمتابع للشأن السعودي لا يمكنه أن يغفل انعكاس ابتعاث الطلبة إلى الخارج على ما تمّ في الداخل.

ولكن الغاية ليست في ابتعاث طلبة إلى الخارج لتلقي التعليم الجامعي فحسب، تحتاج المسألة إلى بناء مؤسسي ينطلق من القاعدة وصولاً للقمة كنتيجة حتمية تتناسب مع التغيير الحاصل من أولى درجات السلم التعليمي.

هنا، أصبح التعليم أول ما يلتفت إليه فيما إذا كانت الميزانية العامة للدولة تعاني من العجز، ليس التعليم فحسب، بل مختلف القطاعات الخدمية التي تمس المواطنين بصورة مباشرة، كالتعليم والصحة الحلقات الأضعف وأولى القطاعات التي يتمّ تخفيض ميزانياتها أو تثبيتها على أحسن تقدير دون زيادة دورية تتلاءم مع المتغيرات. فتخصيص بعثات للجامعات الخارجية انخفض بشكل كبير وأصبح الغالب الأعم توزيع الطلبة المتفوقين على الجامعات الخاصة والجامعة الوطنية الوحيدة.

وبالحديث عن الجامعة الوطنية، فقد أجرت تغييرات أساسية في عملية قبول الطلبة حديثي التخرج من الثانوية العامة بأن قامت برفع نسب القبول في الكليات والتخصصات الدراسية من 70٪ كما كانت سابقاً لكل التخصصات والكليات إلى نسبة تتفاوت من 70٪ حتى تصل إلى 90٪ في التخصصات الصحية والطبية، دون تبيان واضح لهذه الآلية وطريقة احتساب نسبة رفع القبول في كل تخصص أو كلية.

رفع النسبة اللازمة للقبول في الجامعة بهذه الصورة وفي ظل عدم تطوير المؤسسة التعليمية من قواعدها لا يمكن النظر إليها إلا إنها تنفيع للقطاع الخاص على حساب المواطنين، فمن لا تؤهلهم نسبهم في الثانوية الدخول للجامعة الوطنية تفتح لهم الجامعات الخاصة أبوابها دونما شروط أو حد أدنى للنسب.

تهنئة بفوز نواب عن قوى التغيير في لبنان

بعث الأمين العام للمنبر التقدمي الرفيق عادل متروك رسالة تهنئة للأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني الرفيق حنا غريب بفوز أصدقاء الحزب في الانتخابات النيابية التي جرت في 15 مايو- أيار 2022، مؤكداً أن هذا الفوز جاء بفضل تضحيات أعضاء ومناصري الحزب في الاحتجاجات الجماهيرية التي اجتاحت شوارع ومدن لبنان في تشرين الأول – أكتوبر من عام 2020، حيث كان في طليعة ذلك الحراك مع سائر القوى المدنية والديمقراطية ضد الفساد وسلطة المحاصصة الطائفية وضد استيلاء المصارف على مدّخرات المواطنين.

وجاء في رسالة الأمين العام: «إن فوز أصدقاءكم ومجموعة واسعة من قوى التغيير والإصلاح، يعبر عن رغبة الجماهير في التغيير، ومن أجل قبر المحاصصة وبناء نظام وطني ديمقراطي عابر للطوائف والمذاهب، وصولاً إلى بناء الدولة المدنية الحديثة.

تهنئة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بنجاح أعمال مؤتمرها الثامن

هنأ الأمين العام الرفيق عادل متروك وبالنيابة عن أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية وجميع منتسبي المنبر التقدمي في البحرين، الرفيق الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الأسير أحمد سعدات، بنجاح أعمال المؤتمر الوطني الثامن للجبهة، وبما أسفر عنه من انتخاب الهيئات القيادية في الجبهة والقرارات والتوصيات التي من شأنها تطوير العمل الحزبي والتنظيمي لمواصلة المسيرة التاريخية للجبهة في نضالها وكفاحها ضد الاحتلال الصهيوني ودحره، وإقامة الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس، حيث قدمت الجبهة المئات والآلاف من الشهداء والمعتقلين والمهجرين والمطاردين والمصابين وغيرهم .

وقال الأمين العام في رسالة التهنئة التي بعث بها بهذا الخصوص: «إننا في المنبر التقدمي البحريني كما هو حال كافة أبناء شعبنا بكافة أطيافه ومكوناته ضد سياسة التطبيع مع الكيان الصهيوني، والتي أكدت الأحداث الجارية في الأراضي الفلسطينية عدم جدواها وهي تقدم لهم خدمات مجانية على حساب القضية العادلة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني الشقيق، حيث تواصل قوات الاحتلال سياسة القتل والترهيب ضد أبناء الشعب الفلسطيني المناضل وأخرها اغتيال الإعلامية الفلسطينية المعروفة شيرين أبوعاقلة، وزج الآلاف في السجون.

وأكدّ على أن المنبر التقدمي يطالب بالحرية للمناضل سعدات، ولكافة الأسرى الفلسطينيين، ويدعو منظمات وهيئات حقوق الإنسان في العالم المطالبة بإطلاق سراحهم من سجون الاحتلال الصهيوني.

في ندوة «فتاة الريف .. مسيرة خمسين عاماً»

مشاركات: إلغاء جميع القوانين التي تكرّس التمييز وتنتقص من حقوق المرأة

أكدّت الناشطة في حقوق المرأة، وأبرز مؤسسات جمعية فتاة الريف النسائية، نجاة الموسوي على أن: «جمعية فتاة الريف وهي تستذكر عيدها الخمسين تناضل يداً بيد مع الاتحاد النسائي البحريني والجمعيات النسائية من أجل إلغاء جميع القوانين التي تكرس التمييز والتي تنتقص من حقوق المرأة كقانون الجنسية وقانون الأحوال الشخصية والمادة ٣٥٣ وقانون الولاية وغيرها من القوانين التي تكرس تبعية المرأة وتحط من كرامتها».

وقالت الموسوي في ندوة نظمّها المنبر التقدمي بعنوان: "جمعية فتاة الريف، مسيرة خمسين عاماً»، بأن: "فتاة الريف تعتبر أول جمعية نسائية في قرى البحرين، وهي الجمعية النسوية التي عملت في مناطق جدحفص والديه والسنابس وجبلة حبشي وباربار والحجر والشاخورة وغيرها من القرى، من أجل الدفاع عن حقوق المرأة المهمشة والمرأة المظلومة الرازحة تحت وطأة العادات والتقاليد آنذاك».

وأوضحت الموسوي بأن: "الجمعية لعبت دوراً بارزاً مميزاً في النهوض بحقوق المرأة وقدمت عبر مسيرتها الطويلة الكثير عبر برامجها التوعوية والتثقيفية بحقوق المرأة والطفل وفي تعليم محو الأمية التي أخذته على عاتقها فهي أول من فتح صفوف محو الأمية إلى جانب مساهمتها مع الجمعيات النسائية في التوعية بالكثير من حقوق المرأة والدفاع عنها والتنديد بالعنف والانتهاكات والظلم والتسلط الذي تواجهه النساء في ذلك الوقت».

وأضافت: "كما سعت إلى بناء علاقات مع الجمعيات النسائية المتواجدة حينها لتعزيز مبدأ الشراكة والعمل الجماعي، واستمرّ عملها في السعي من أجل حقوق المرأة كالمشاركة السياسية والتمكين الاقتصادي وواقع المرأة العاملة ودعت إلى إنهاء معاناة النساء العاطلات عن عملهن خلال إيجاد فرص عمل لائقة لهن ينهي وضعهن في خانة البطالة والعمل في الاقتصاد غير المنظم».

صعوبات العمل النسائي

من جانبها عبرت الرئيس الأسبق لجمعية فتاة الريف حياة الموسوي عن الصعوبات التي تواجه العمل النسائي، حيث أشارت إلى: «انحسار عدد العضوات، وقلة مشاركتهن في أي نشاط يهم مصلحة المرأة، وقلة الكوادر النسائية في الجمعية، ومن الشابات خاصة»، وأضافت: «كذلك تكرار الأهداف التنموية والأنشطة التي تقدمها الجمعية مما لا يجذب عضوات جديدات من الشابات، مما لا يضخ دماء دماء جديدة في صف ثان للجمعية»، إضافة إلى «عدم الترخيص للجمعيات الأهلية لجمع الأموال من البنوك والمصارف إلا بعد موافقة الوزارة».

وأوضحت الموسوي بأن: "الظروف في بداية السبعينيات كانت مشجعة للغاية من حيث ظهور الفكر التقدمي والديمقراطي، مما كان له أكبر الأثر في تشجيعنا على تأسيس الجمعية، وفي دفع وتحفيز الكثير من الرجال زوجاتهن وأخواتهن وبناتهن وكذلك بنات وزوجات أصدقاءهم وأقرباءهم، وكذلك الشباب المتنور والمثقف في النوادي والمجالس الشعبية، ومن المناصرين للمرأة، على حشد الطاقات والهمم والمشاركة في كل انشطة الجمعية بإرادة قوية وعزيمة لا تقهر إلى أن استطاعت الجمعية الوقوف على أرضية صلبة، لا تهمها العراقيل ولا الأزمات».

ولفتت الموسوي إلى «ظروف قاسية وصعبة في بداية التأسيس، تمثلت بمعارضة شديدة من قبل القوى الدينية المحافظة، حينها شعرنا بأن الجمعية حاجة ضرورية ومسؤولية كبيرة تقع على عاتق الجميع، من أجل تغيير واقع المرأة القروية من واقع مؤلم، إلى واقع يحترم المرأة ويعزز كرامتها وحريتها، وتحسين صورتها في المجتمع، والدفاع عن حقوقها».

مشيرةً إلى أنه: " في بداية المشروع الإصلاحي حصلت الجمعية على الإشهار الرسمي في العام 2001، أي بعد ثلاثين عاماً من العمل بدون إشهار رسمي، هذا الحدث الكبير أعطى دفعة كبيرة للإنجاز وتثبيت كيان الجمعية التي تحتفل اليوم بخمسين عاماً على مسيرتها".

في تأبين الخطيب والنيباري

الأمين العام: انتصر الفقيدان لنضال شعب البحرين وتضحياته من أجل الديمقراطية والحرية

أكّدّ الأمين العام للمنبر التقدمي المحامي عادل المتروك على أنه: "ليس غريباً أن يقام في البحرين حفل تأبيني للراحلين الكبيرين، الخطيب والنيباري، فما يجمع بين البحرين والكويت من الأواصر الأخوية والتاريخية والكفاحية وحركتيهما الوطنيتين هي من القوة والصلابة، ما جعل من نضالنا في البلدين نضالاً واحداً من أجل أهداف وقيم مشتركة، وعلى الدوام كانت هناك أوجه تنسيق وتآزر بين المناضلين في البلدين».

عادل المتروك

عبيدلي العبيدلي

حسن العالي

وكان المتروك متحدثاً في حفل تأبيني للرمزين أحمد الخطيب وعبدالله النيباري بمشاركة قوى وشخصيات محلية وكويتية. وأضاف: "كان للراحلين العزيزين، دور كبير في توطيد هذه العلاقة بين شعبينا، وكانا يخصّان البحرين وشعبها ومناضليها بمودّة خاصة وتربطهما مع العديد من أبناء البحرين علاقات شخصية وثيقة، ولطالما انتصرا لنضال شعبنا وتضحياته من أجل الديمقراطية والحرية، ووقفا بجانبنا في محطاتنا النضالية المختلفة بكافة أوجه التضامن والدعم، وجعلا من الصحافة الوطنية الكويتية، وفي مقدمتها مجلة "الطليعة" منبراً لقضايا البحرين وشعبها، وشاركهما في ذلك أخواهما ورفاقهما في الحركة الوطنية الكويتية باتجاهاتها المختلفة، وهو التقليد الذي لا يزال قائما حتى اللحظة وسيستمر في المستقبل».

المنبر الكويتي: فرقدا السياسة الكويتية

من جانبه، قال أمين عام المنبر الديمقراطي الكويتي عبدالهادي السنافي بأن: «الخطيب والنيباري هما فرقدا السياسة الكويتية وفقيدا منبرها الديموقراطي، والوفيين للوطن، واللذين ساهما بفكرهما بأن يجعلاه بلد الإنسانية والتسامح»، وتابع: «الدكتور أحمد الخطيب الذي طرّز تاريخ الكويت مع ثلة الوطنيين الأحرار بإيمانه بالدستور علماً وعملاً، وناضل بجهد وتفان لترسيخ دعائمه، وألّف شعبنا على الاحتكام لروح الدستور وموادّه، حتى أضحينا عنواناً للخليج والوطن العربي برمته».

وواصل: "كان الخطيب نازعاً للسلم والشراكة بين المجتمع والسلطة، فمبادئ الطب صانت ثوابته وقسمه ليحفظ ويقدّس كرامة الإنسان وحقوقه الطبيعية والمدنية، مهما اختلِف معه فكرياً وثقافياً"، وأضاف: "تصدى الخطيب بكل شجاعة وحكمة للسلطة وكان لصيقاً بالشعب متفهماً معاناته، مدافعاً عن مصالحه وثرواته، فارساً من فرسان القومية العربية، ومن روادها الأوائل».

واعتبر السنافي بأن: "النيباري بطل تأميم النفط بالكويت ومفكرها الاقتصادي الذي سخر علمه وفكره لمصلحة الشعب الكويتي، هو من حمل وسام شرف على جسده حين اخترقته رصاصات الغدر في العام 1997 هو وزوجته الفاضلة فريال الفريح»، وتابع: «وهو الذي اشتهر بأنه فارس حماية الأموال العامة بمجلس الأمة لكثرة عدد قضايا الفساد الذي تصدى لها دون تردد أو خوف، ومثّل الكويتيين بجميع أطيافهم واختلافاتهم بمسيرته البرلمانية الزاخرة، كما حرص الى آخر يوم بحياته على دعم المنبر الديمقراطي كتيار سياسي تقدمي مؤمناً بالعمل الجماعي".

وقال السنافي بأن: "الخطيب والنيباري مصدران للإلهام وشعلتان للعمل الجماعي والمؤسسين البارزين لتنظيم المنبر الديموقراطي، المتجاوز لكل الأُطر والفوارق الاجتماعية والطبقية إلى رحابة المجال السياسي العام».

التقدمي الكويتي: داعمان للشباب

إلى ذلك، قال أمين اللجنة المركزية للحركة التقدمية الكويتية أسامة عبدالرحيم بأن: «الراحلين الكبيرين لم يستطعا فراق أحدهما الآخر، حتى في شهر الوداع الحزين، بعد مسيرة نضالية دامت أكثر من ستة عقود كانا خلالها مثالين يحتذى بهما ومدرستين وطنيتين تأثر وتعلّم وتخرج منها الكثيرون»، لافتاً إلى أن: «الخطيب والنيباري كان لهما دور كبير في بناء الحركة الوطنية والنضال الديمقراطي».

وأشار عبدالرحيم إلى أن: "علاقة الفقيدين الكبيرين الخطيب والنيباري بالشباب كانت مميزة، فقد كانا داعمين للشباب التقدمي والديمقراطي وتمكينه في القيادة وترسيخ ثقافة العمل الجماعي المنظم على العمل الفردي».

وواصل: "نستذكر في الحركة التقدمية الكويتية التاريخ المجيد للراحلين منذ تأسيس حركة القوميين العرب خلال عقد الخمسينات من القرن العشرين، الذي كان فرعه الكويتي يشكّل التنظيم الأساسي للحركة الوطنية الكويتية إلى نهاية عقد الستينات، بالإضافة إلى دورهما الوطني والديمقراطي المشهود في الكويت وضمن حركة التحرر الوطني العربية»، وتابع: "كما نستذكر بفخر واعتزاز دور الفقيدين الكبيرين في إثراء الحياة السياسية، وما قاما به من أجل تضمين مبادئ الديمقراطية والحريات والعدالة الاجتماعية في الدستور الكويتي وعلى أرض الواقع، وكذلك لنضالهما الصحفي وكتاباتهما في جريدة «الطليعة» لسان حال الحركة الوطنية منذ صدورها في بدايات ستينيات القرن الماضي إلى حين توقفها الاضطراري قبل نحو ست سنوات، حيث كانا من أركان الصحيفة الأساسيين، بالإضافة إلى نادي الاستقلال الثقافي الاجتماعي، الذي حلته السلطة في أعقاب انقلابها على الدستور في 1976، ونشاطهما البرلماني المميز كقائدين للمعارضة الوطنية خلال فترات عضويتهما في مجالس الأمة المتعاقبة، وحتى اعتزالهما العمل البرلماني».

القومي: التصدي لقضايا الأمة

من جانبه قال عضو الأمانة العامة في

جانب من الحضور

التجمع القومي الديمقراطي د. حسن العالي بأن المناضلين الخطيب والنيباري «كانا يدعوان لوحدة القوى القومية على امتداد ساحات الخليج والوطن العربي»، داعياً: «لمزيد من التنسيق والعمل المشترك بين القوى والشخصيات الوطنية والقومية على مستوى بلداننا الخليجية، لتفعيل دورنا في التصدي لقضايا الأمة الكبرى، وأن يكون محور هذا التنسيق القضية الفلسطينية ومقاومة اتفاقيات وتداعيات التطبيع، حيث تشهد بلداننا الخليجية اختراق صهيوني استراتيجي لأمننا القومي الخليجي تحت غطاء هذه الاتفاقيات يهدد الجميع دون استثناء من أبناء دول المنطقة وقواها السياسية والمدنية، بل ويهدد مستقبل حكامها وأنظمتها ومجتمعاتها ووحدة كياناتها».

ولفت إلى: «أهمية وجود شخصيات دستورية وبرلمانية من طراز الخطيب والنيباري تتصدى بصلابة وبإيمان عميق لاهتراء تجاربنا البرلمانية ويعيد الوهج لدورها في صيانة وحماية استقلال بلداننا وقرارها الوطني المستقل على صعيد حماية ودعم أمنها وأمن الوطن العربي الاستراتيجي، وعلى صعيد بناء دولة المؤسسات والقانون والنزاهة وحماية المال العام والعدالة الاجتماعية، وعلى صعيد نهجها الاقتصادي والاجتماعي المنحاز كليا للشعب ورفاهيته وكرامته وللعدل الاجتماعي وعلى صعيد انحياز بلداننا للدفاع عن مصالح الأمة ووحدتها وكرامتها وتحررها».

هلال:
معتصمين بالنضال

من جهته قال المحامي المخضرم عباس

عبدالنبي العكري

هلال بأن: «المناضلين الخطيب والنيباري لم يكنا كبيرين بقدر السنوات والشهور والمرض ولم يكنا كبيرين بقدر النسب والحسب، بل كانا كبريين بنضالاتهما وبمبادئهما وبعلمهما، كبيرين في الفكر والسياسة، وفي النضال الدستوري والبرلماني.. كبريين في التضامن الثوري مع كل المناضلين والحركات الثورية والفكرية، كبيرين كمظلة ظليلة للنضالات العمالية ومع الطلاب في اتحاداتهم كباراً في التواضع والتواصل، قامات في العطاء قامات قومية وطنية، واممية، قامات في ادارة النضال البرلماني».

وقال بأن الفقيدين "كانا معتصمين بالنضال والرؤيا السياسية المبدئية، معتصمين بالقول الحق مع النظام ومع الرفاق، كانا الجدع الراسخ لغصنين من الورد والزهر، من العمل والأمل: المنبر الديمقراطي والحركة التقدمية في الكويت». ونوه بأن: «كل ما كتب وسوف يكتب، وكل ما قيل وسوف يقال عنهما عدل وانصاف لابل أقل من ذلك، ويستحقان أن تسمى شوارع

عباس هلال

وميادين ومراكز وقاعات باسميهما، وذلك شرف للكويت ما بعده شرف، بدوره الحراك السياسي الشعبي بإمكانه إطلاق مسمى ساحة الخطيب على ساحة الإرادة".

العكري: فلسطين
في مقدمة اهتماماتهما

على صعيد متصل، قال المناضل والحقوقي المخضرم عبدالنبي العكري: «إن في سيرة الراحلين تلازماً نضالياً على المستويين الوطني والقومي، فعلى الصعيد الوطني الكويتي فإن دورهما كان واضحاً في كل ما انجزته الكويت من مكاسب وطنية وديمقراطية». وتابع: «دافع الاثنان عن حرية العمل السياسي وإقامة التنظيمات والأحزاب السياسية في الكويت، ومنها تنظيم حركه القوميين العرب، وما تمخض عنه لاحقا من تنظيمات ومنها المنبر الديمقراطي الكويتي وظلا حريصين على وحدة التنظيمات الوطنية رغم اختلافاتها».

لافتاً إلى أن: «دور القائدين كان واضحاً على مستوى الإعلام الوطني والقومي، فقد كانت مجلة (الطليعة) منارة، ليست للكويت فحسب، بل أيضا للخليج والوطن العربي، وكان محورها مناضلين كويتيين وخليجيين وعرباً، وتحمل هَمّ القضايا الوطنية والخليجية والعربية. كانت صوت الذين لا صوت لهم. ولذا فإن تصفية «الطليعة» هو إطفاء لشعلة منيرة لأجيال متلاحقة». وأضاف: «على الصعيد العربي كانت القضية الفلسطينية في مقدمة اهتماماتهما، فظلا مدافعين عن حق الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية في تحرير فلسطين رغم التقلبات والتراجعات».

العبيدلي:
كتلة نيابية وطنية

أما الكاتب الصحفي عبيدلي العبيدلي فقال بأن: «الفقيدين نجحا في ايجاد نظام للعمل السياسي للمرحلة الحديثة»، «كما استطاعا بنجاح في الخلط بين العمل السياسي والجماهيري والبرلماني والثقافي».

وواصل: «نجحا في الانتقال بشكل انسيابي من العمل السري إلى العمل والنضال العلني»، وأضاف: «كان للفقيدين دور كبير في ريادة الحركة السياسية الكويتية وانتقالها عبر المحطات المفصلية في ستة العقود التي قاداها خلالها».

وأشار العبيدلي إلى أنه: «لو كان الفقيدان موجودين بيننا اليوم فإنهما سيؤكدان للحركة السياسية البحرينية على التمسك بقيم الوحدة الوطنية، كما انهما سيدفعان بالمشاركة في الانتخابات البرلمانية، وأهمية تشكيل كتلة نيابية وطنية في المجلس المقبل".

احتفالية تأبين المناضلين الخطيب والنيباري

الوفاء لأهل الوفاء

بمبادرةٍ من جمعيات التيار الديمقراطي في البحرين، المنبرالتقدمي،التجمع القومي والتجمع الوحدوي ومشاركة شخصيات وطنية والمنبر الديمقراطي والحركة التقدمية الكويتية من الكويت، أقيم حفل تأبين للمناضلين الدكتور أحمد الخطيب وعبد اللّه النيباري بالمنبر التقدمي يوم الأحد الماضي ٨ مايو ٢٠٢٢.

مهدي مطر

بدأ الحفل بالوقوف دقيقة صمت على روح الفقيدين الكبير ين، تلتها كلمات بدءًا بكلمة المنبر التقدمي التي ألقاها الأمين العام المحامي عادل متروك الذي أكد على دور الفقيدين الرمزين في الحركة الوطنية بدولة الكويت الشقيقة وفي الخليج العربي، وفي إطار حركة التحرر الوطني والقومي، وأضاف المتروك: «ليس غريباً أن يقام في البحرين هذا الحفل التأبيني للراحلين الكبيرين الخطيب والنيباري فما يجمع بين شعبينا الشقيقين في البحرين والكويت من الأواصر الأخوية والتاريخية والكفاحية وبين حركتيهما الوطنية، هي من القوة والصلابة، مما يجعل من نضالنا في البلدين نضالاً واحداً من أجل أهداف وقيم مشتركة، وعلى الدوام كانت هناك أوجه تنسيق وتآزر بين المناضلين في البلدين «.
التجمع القومي كانت له كلمة ألقاها الدكتور حسن العالي عضو الأمانة العامة ذكّر فيها بالأرث النضالي والسياسي والقومي الذي خلّفه الراحلان وهو ما يجمع التيار الديمقراطي والحركة السياسية في البحرين على قاعدة من القواسم المشتركة في الدفاع عن تحرير فلسطين والدفاع عن قضايا الأمة الكبرى من الدستور والديمقراطية.
أصدقاء ورفاق الفقيدين كانت لهم مشاركات، حيث بدأ الأخ الأستاذ عبيدلي العبيدلي كلمته خارج إطار النص بالتنويه بجمعية وعد وتيارها وعلاقتها التاريخية بالمناضلين الخطيب والنيباري، وتمنى عودة جمعية وعد للعمل مع بقية الجمعيات السياسية، قبل أن يعرج على ما يتمتع به هذان المناضلان من صفات،منها:
1- ريادة الحركة السياسية:
2-الفكر الاستراتيجي
3-الجرأة والمرونة والابتكار في العمل السياسي
4-التأكيد على الجبهة الوطنية مع الاختلاف بين العمال و التجار.
استعرض الاستاذ عبيدلي كيف تمثلت هذه الصفات في عد ة مواقف:
الجرأة مع إعلان الرئيس العراقي الأسبق عبدالكريم قاسم عن ضمّ الكويت عام 1961، حيث استثمر الخطيب علاقاته بالرئيس جمال عبدالناصر الذي تعهدّ بحماية الكويت.
رفض التعميم في وصف حركة الإسلام السياسي والمناداة بالتعاون مع هذاالتيار.
واختتم الأستاذ عبيدلي كلمته بتصور لما كان يمكن للخطيب أن يوجهه من خطاب للحركة السياسية في البحرين، بدعوتها للمشاركة في انتخابات 2022، وتشكيل كتلة نيابية في المجلس النيابي القادم، والاستفادة القصوى من الهوامش الم تاحة والدعوة لعمل سياسي غير تقليدي.
المهندس عبدالنبي العكري الذي رافق المناضلين على مد ى عقود كانت له كلمة استعرض فيها العلاقات النضالية مع التيار الديمقراطي في الكويت ومناصرته للحركة الوطنية في البحرين ودور مجلة «الطليعة» لسان حال التيار الديمقراطي في الكويت وكان رئيس التحرير المرحوم الأستاذ سامي المنيس.
ومن الكويت كان هناك حضور للتيار الديمقراطي فيه بمشاركة الأستاذ عبدالهادي السنافي الأمين العام للمنبر الديمقراطي والأستاذ أسامة العبد الرحيم أمين اللجنة المركزية للحركة التقدمية، فيما كانت كلمة الختام للدكتور عباس هلال واستذكر فيها سيرة المناضلين الخطيب والنيباري على الصعيدين القومي والوطني والدستوري والبرلماني
واختتم الدكتور عباس كلمته بالدعوة لإطلاق أسماء ش وارع وميادين ومراكز وقاعات بأسماء الفقيدين الخطيب والنيباري في وطنهما وتقديراً لما قدماه للكويت، والحراك الشعبي بإمكانه إطلاق مسمى ساحة الخطيب على ساحة الإرادة.

عندما نتحدث عن المناضلين الخطيب والنيباري نستذكر م حطات عدّة آزرت فيها الحركة الوطنية والشعب الكويتي في البحرين، وهنا مهم التوقف مع حركة هيئة الاتحاد الوطني عام 1956، فبعد إجهاض الحركة والإنقضاض على قيادة الهيئة بتسفير الباكر والشملان والسيد علي كمال الدين والعليوات وسجن إبراهيم فخرو وإبراهيم موسى وآخرين، لجأ الكثير من نشطاء كوادر الحركة إلى الكويت حيث احتضنهم هي وحركتها الوطنية.
في حفل التأبين الذي أقيم في البحرين منتصف الثماني نات للشخصية الوطنية المرحوم صالح شهاب، أتذكر كلمات المرحوم حسن الجشي رئيس المجلس الوطني في البحرين (دسيمبر 1973- أغسطس 1975) وإشادته بجهود المرحوم صالح شهاب والأخوة في الكويت ونفس الأمر حصل بعد انتفاضة مارس 1965، هذه هي الكويت وحركتها الوطنية الداعمة لشعب البحرين في عدة مراحل.
نتذكر المناضل الدكتور أحمد الخطيب ونتوقف مع سنوات النضال التي امتدت لسبعة عقود منذ أن التحق بجامعة بيروت الإمريكية مطلع الخمسينات وتأسيس حركة القوميين العرب مع رفاق النضال جورج حبش والدكتور وديع حداد وهاني الهندي ونايف حواتمة، وعلى مدار العقود السبعة لم ينحنِ لا للترهيب ولا للترغيب، وحتى العواصف والمحن والانتكاسات التي تعرض لها وطنه الكويت لم تهزه وظل صامداً، وهبت رياح الطائفية على المنطقة في العقود الأخيرة وظل متمسكاً بالثوابت الوطنية والقومية ونادى الاستقلال الذي حلّ عام 1976، بعد حل المجلس الأمة ، وصولاً لتأسيس التجمع الديمقراطي ولا حقاً المنبر الديمقراطي عام 1991، مع ثلة من قيادات التيار الديموقراطي نذكر منهم سامي المنيس، جاسم القطامي، عبدالله النيباري والدكتور أحمد الربعي. وعندما نتذكر المناضل النيباري نتذكر عضو مجلس الأمة في تصديه في الدفاع عن المال العام إبان مناقشة اتفاقية المشاركة في مجلس الأمة بين حكومة الكويت وشركات التفط،
إن إقامة حفل تأبين للمناضلين الدكتور أحمد الخطيب والأستاذ عبد الله النيباري في البحرين هو ترجمة للعلاقات النضالية الوثيقة بين الشعبين في البحرين والكويت.
سيبقى ذكر المناضلين الدكتور أحمد الخطبيب وعبد الله النيباري نبراساً يضيئ الطريق للحركة الوطنية والديموقراطية في الكويت والخليج والوطن العربي.

بمناسبة الأول من مايو

التقدمي: حقوق العمال ومكتسبات المتقاعدين في تراجع

أكدّ المنبر التقدمي على «الحاجة لمراجعة شاملة لسوق العمل، بما يهدف إلى تحقيق وضع يقدّم مصلحة العمالة الوطنية». واعتبر في بيان بمناسبة يوم العمال العمالي بأن: «وزارة العمل تستمر في اللعب على الأرقام وتحاول استغفال المجتمع والهرب من التحديات الحقيقية في ملف العاطلين عن العمل، من خلال احتساب نسبة العاطلين عن العمل المسجلين في برنامج التعطل فقط وليس المستعدين القادرين والراغبين في للعمل».

وأوضح البيان بأن: «وزارة العمل أعلنت عن توظيف أكثر من 25 ألف عاطل عن العمل في 2021، بينما تتحدث التقارير الإحصائية لهيئة التأمينات الاجتماعية عن انضمام نحو 7 آلاف مستجد، ما يعني أن ما يقارب 18 ألف مواطناً على الأقل، وهم المسجلون في الوزرة، فقدوا أعمالهم في 2021، وحصلوا على وظائف جديدة، وهذا يشير إلى عدم استدامة العامل البحريني في عمله، بينما الوزارة توهم الرأي العام بأنها خلقت 25 ألف وظيفة وفي ذات الوقت تشير البيانات ذاتها إلى ما يقارب 48 ألف مستجد من غير البحرينيين في سوق العمل».

وقال البيان إن «غالبية النواب خذلوا ناخبيهم مرات عديدة خلال إقرارهم لزيادة ضريبة القيمة المضافة والتي تستهدف المستهلكين، وفي مقدمتهم العمال والمتقاعدين، إلى جانب إقرارهم لتعديلات الحكومة على قانون التأمينات الاجتماعية ومرسوم إلغاء الزيادة السنوية»، فيما حيا البيان مواقف النواب الذين وقفوا في صف ناخبيهم ورفضوا كل القوانين التي تمس بمقدرات المواطنين وعلى رأسهم أعضاء كتلة «تقدّم» والتي كانت الصوت العمالي في مجلس النواب حاملة قضايا وملفات العمال في المجلس وخارجه».

وقال البيان: «عيد العمال العالمي الذي يمرّ علينا في فترة من أصعب الفترات التي يكابد فيها العمال وذوو الدخل المحدود أوضاعاً اقتصادية يسيطر فيها نمط النيوليبرالية ليجعل من الطبقة العاملة والكادحون في البحرين من يدفع ثمن أخطاء السياسات الاقتصادية المحكومة بالفساد وبالسعي لمراكمة رأس المال».

ونوّه البيان إلى أن: «الحرب الروسية الأوكرانية ألقت ظلالها على كل السلع الموجودة في السوق، حيث زاد التضخم وتضاءلت القدرة الشرائية للعامل والمتقاعد، ما يعني المزيد من تدهور أوضاعه الاقتصادية» مشدداً على: «دعوة الدولة للتدخل لموازنة الوضع وذلك بزيادة الدعم الاجتماعي من خلال المداخيل الإضافية التي تجنيها جراء ارتفاع أسعار النفط».

ودعا البيان: «الحركة النقابية إلى حوار جدي يشمل جميع الأطراف من أجل تصحيح المسار وانتشال الحركة النقابية وإرجاعها إلى وضعها المنشود، على أمل أن يرجع للحركة العمالية دورها ومكانتها في المجتمع».

الأول من مايو ووحدتنا المفقودة

أحمد سند البنكي

كم هو مؤلم أن تطلّ علينا ذكرى الأول من مايو المجيدة، ونحن الفرقة مزقتنا والشتات يبعثرنا، فقد أصبحت الحركة النقابية وكأنها في مهب الريح ومسيرة الأول من مايو في قاموس الممنوعات حبيسة في حناجرنا وبين جدراننا الكئيبة، بعد أن كانت في السابق تروي بقوة وصخب بالمطالب في شوارع العاصمة تتصدرها اليافطات المتضمنة قضايا ومكاسب ومطالب الحركة العمالية والنقابية.. فأين كنّا وأين أصبحنا وفي أي حال...؟

لقد أضعنا البوصلة وفقدنا وحدتنا وأصبح شعار الوحدة العمالية ليس إلا شعاراً خاوياً من مضمونه وبعيداً عن حقيقة الواقع.. ربما نجح المتربصون بضرب وحدة الحركة النقابية ونالوا غاياتهم وأهدافهم المسمومة بعد أن شقّوا وحدة الصف العمالي ونجحوا في طأفنته وإغراقه بأوكار المتسلقين والانتهازيين ليتسيّد المشهد العمالي والنقابي الخلافات والنزعات التي لا طائل منها ولا عائد للطبقة العاملة وحقوقها المشروعة، في الوقت الذي نحن جميعاً بأمس الحاجة لوحدة صفنا العمالي وتكاتفنا ولم شملنا في ظل الظروف المعيشية الصعبة والمتأزمة وفي ظل الهجمات الدائمة على نهش مكاسبنا وحقوقنا وتقديم مطالبنا إلى جانب سياسات إفراغ حركتنا النقابية من مضامينها ودورها الطليعي الرائد في الدفاع عن مكاسب وحقوق الطبقة العاملة.

وليس ماهو أدل على ذلك من الموقف المتفرج والمخزي لإتحادي الحركة النقابية من قانون التقاعد الجديد، لقد أصبحنا إتحادين عماليين تمزقهما الفرقة ويتنافسون على مواقع العداء فيما بينهم، ويتناحرون على وحدة الحركة العمالية والنقابية، وفي سياق تكريس شتاتها ناهيك عن التناحر من جانب آخر بين النقابات المتعددة في المنشأة الواحدة والتي أصبحت خاوية وصورية وبلا قاعدة عمالية وفريسة لبطش إدارات الشركات والمؤسسات التي قويت شوكاتها بعد ما ضعفت وحدتنا العمالية وتحولت إلى تقسيمات طائغية وفئوية...وبل إنتهازية بإمتياز.

لا شكّ أن المشهد السياسي الأمني في البلاد له هدف في تراجع الحركة النقابية وكذلك فإن أحداث 2011، المؤسفة لا زالت تلقي بظلالها وتداعياتها على الحركة النقابية وبشكل سلبي وتدق أفات الفرقة بين صفوف العمال والحركة النقابية، ولكن أما آن أوان لصحوتنا من كابوس الماضي للمضي قدماً نحن وحدتنا ومصيرنا المشترك، وهل نظلّ حبيسين الماضي وظلاميته تنخر في وحدة شعبنا وطبقتنا العامل؟

ما أحوجنا اليوم للنظر إلى الأمام وإلى المستقبل وقبر الماضي لننطلق إلى آفاق وحدتنا العمالية المعهودة والعمل على تنظيم صفوفنا وكنس كل أشكال الطائفية والإنتهازية من الحركة النقابية وتنقيتها من شوائب الماضي حتى نبني مستقبل وحدتنا على أسس متينة وسليمة، وحتى نتمكن من الدفاع عن حقوقنا ورفع مطالبنا والحفاظ على مكتسباتنا النقابية، بل أن نكون أوفياء لتاريخ شعبنا وحركتنا العمالية وشهدائها الأبرار الذين ضحوا بحياتهم واسترخصوا دمائهم من أجل وحدة الطبقة العاملة ومطالبها العادلة.

ونحن نحتفل بذكرى الأول من مايو اليوم العالمي للعمال علينا ان نتجاوز كل خلافاتنا وإختلافاتنا ولنحتفل بالأول من مايو ونحن متعافين بوحدة صفوفنا وكلمتنا ولنترجم شعار إحتفالنا بمايو المجيد "الوحدة الوحدة يا عمال" واقعاً ملموساً بجذوره الضاربة بوحدة شعبنا عبر التاريخ، ذلك التاريخ الذي لازالت شعلته مضيئة وتدعونا لحملها بأمانة ووفاء من أجل النضال لغدنا الواعد.

جانب من الحضور

في احتفالية بمناسبة عيد العمال

أمين عام التقدمي: تفعيل دور النقابات والاتحادات العمالية لصون حقوق الكادحين

الأمين العام

شدد الأمين العام للمنبر التقدمي المحامي عادل المتروك على ضرورة «العمل دون كلل لترجمة المبادئ الدستورية إلى واقع محسوس، تلك المبادئ التي لم تكتمل مضامينها حتى اليوم في واقع الممارسة الفعلية، نجد أن سياسة الدولة وما تقوم عليه منذ عقد من الزمان في سعيها الحثيث نحو الخصخصة وتعديل التشريعات يعكس سير العجلة في الاتجاه الخاطئ، نحو مزيدٍ من اللاعدالة، مزيدٍ من الإنصاف».

وقال المتروك في كلمة له في احتفال للتقدمي بمناسبة الأول من مايو إن «الطبقة العاملة البحرينية عاشت في ظل إملاءات ومفاهيم محددة تحمل في طياتها سعي الدولة لتثبيت أوضاع اجتماعية واقتصادية وثقافية تخدم رؤيتها الخاصة»، وتابع: «نعني بهذا مصالح المتنفذين فيهَا الذين لهم صلاحية إملاء القرارت، وغايتها مقاومة أية تنمية وطنية شاملة يتم اقتراحها أو طرحها من أي جهة كانت. إنه الواقع الذي كان ولا يزال يترك أثره الخانق على المواطنين، وخصوصًا العمال والكسبة».

وأشار إلى أن: «كتلة تقدّم البرلمانية تصدت بكل طاقاتها وما هو متوفر لها من مساحة للذود عن مكتسبات الطبقة العاملة، وكانت ملاذ المواطنين في مختلف المواقع، مع العاطلين، والأطباء غير المثبتين، مع المتقاعدين، والمفصولين في قطاعات التأمين، البنوك والمصرفيين، مع عمال القطاع الخاص في المقاولات الإنشائية والخدمية وغيرها الكثير».

وشدد المتروك على: «الاستعداد للدفع في الانتخابات المقبلة بمزيد من خيرة كوادر التقدمي والكوادر الوطنية الفاعلة الأخرى إلى البرلمان من أجل إحداث ولو بعض التعديل في ميزان القوى في داخله لصالح الشغيلة وفئات الشعب المهمشة».

علي غنام

عبدالحميد القائد

كما لفت إلى «عطاء قطاع المرأة وهو يسعى لتنمية وعي المرأة بحقوقها، ولتحسين ظروف عملها، وتعميق مكتسباتها، وتطوير التشريعات القانونية التي تجرم تمييزها في الأجر والفرص المتكافئة للترقية والتدرج في العمل، وأن تتمتع الأم العاملة بامتيازات بما يحقق ويحفظ دورها كأم، ولمنع التحرش والابتزاز في مواقع العمل واستغلال الوظيفة لهذا الغرض».

وبين المتروك بأن: «إن السبيل الأمثل نحو منهج متوازنٍ في السياسة العامة فيما يخص حقوق ومكتسبات العمالة الوطنية هو تفعيل دورِ النقابات والاتحادات بإتاحة مساحة أوسع لها، لتمارس أدواتها في الضغط والتعبير مثل حق الإضراب دون أن يتعرض المضربون للترهيب أو الملاحقة، وحق المشاركة في صنع القرارات ذات الصلة بحياة الطبقة العاملة بتمثيلهم في الهيئات والمؤسسات المعنية التي تقوم على رسم السياسة الوطنية»، داعياً إلى أن: «تتمتع النقابات باستقلال قرارها النقابي بعيدًا عن أية مراكز تأثير وبأن تخرج من حالة التشظي والمحاصصة».

«تقدّم البرلمانية»:

نحو سياسات عمل وأجور عادلة ومعالجات فاعلة لملف البطالة

سيد فلاح هاشم

من جانبه قال النائب عن كتلة تقدّم البرلمانية فلاح هاشم بأن: «العمل يحتفلون هذا في ظروف مغايرة من خلال ما يعايشونه من تأثير القرارت والقوانين الأخيرة المتمثلة في تعديلات التقاعد وما نتج عن زيادة الضرائب والرسوم وما لها من تأثيرات سلبية على لقمة عيشهم».

وأشار إلى انه: «بالرغم مما كشفته لجنة التحقيق البرلمانية بخصوص البحرنة، لازال عشرات الآلاف من شبابنا الباحث عن عمل يعانون من البطالة المتفشية بين صفوفهم ولسنوات عديدة رغم كل ما يعلن من أرقام توظيف لا يشعر بها أبناءنا العاطلين»، وتابع:» كما أن الوجه الآخر لتلك الأرقام المغلوطة يتجسد في انعدام الأمن الوظيفي والاستقرار في العمل».

وأضاف: «ليس ببعيد عن ذلك في علاقات العمل الجماعية وخاصة مع غياب الحوار الاجتماعي بين النقابات وإدارات الشركات بما فيها الشركات الحكومية وما ينتج عنه من تجاوزات في حق العاملين في العديد من الملفات والتي تجري تحت سمع وبصر المسؤولين، لعل من بينها ما كشفه تقرير لجنة التحقيق البرلمانية الأخير في شركة طيران الخليج من تهميش ومحاربة للعمل النقابي، وما هو إلا مثال عن نهج تتبعه معظم الشركات، ويزيده سوءًا غياب الدور الفاعل لوزارة العمل، في ما يوجبه دورها والقانون في متابعة تطبيق القوانين وتأمين بيئة عمل وحوار حقيقي بين إدارات الشركات ومجالس إدارات النقابات كممثلين عن العمال».

وأكدّ هاشم على أن: «التحديات والمصاعب التي تواجه شغيلة وكادحي بلادنا نتشارك في معظمها مع العديد من الشعوب والبلدان وبالأخص السائرة وفق توجيهات وخطط ونصائح البنك الدولي والخضوع لاشتراطاته، وبنهج سياسات اقتصادية واجتماعية في غير صالح الأغلبية من المواطنين، وفق سياسات اقتصادية نيوليبرالية متوحشة ساهمت ومازالت تساهم في زيادة الفجوة في توزيع الثروة، وما ينتج عنها من تدني مستوى معيشة العامة من المواطنين، وما ينتج عنه من تردي في الخدمات العامة وخاصة الصحية والتعليمية والإسكان، ساهمت في استنزاف خيرات وتعب وشقاء شعوب وبلدان العالم لمصلحة حيتان المال العالمي»، وأضاف: «آن لنا أن نعي مخاطرها الاقتصادية والاجتماعية على المواطنين والاستقرار الاجتماعي، والتي من المتوقع لها أن تستفحل، والتي طالما تركت هكذا دون حلول ومعالجات استباقية وحصيفة».

26% بحرنة التمريض ورواتب «الخاص» ضعيفة

أكـــــدّت رئـيـســة جـمـعـيـة الـتـمـريـض البحرينية الدكتورة جميلة مخيمر أن: "مهنتي التمريض والقبالة تشهدان إقبالاً كبيرًا من قبل الشباب البحريني؛ وذلك نظرًا لما تشكله من فرصة مهمة وجاذبة لخريجي الثانوية العامة".

وأشارت إلى أن عدد الخريجين سنويًا يتجاوز 300 خريجا، إلا أن نسبة البحرنة ما زالت متدنية ولا تتعدى 26٪.

وعلى هامش الاحتفال باليوم العالمي للتمريض، قال عدد من الممرضين والممرضات في القطاع الخاص إن رواتبهم ضعيفة، وإنهم يأملون في الحصول على وظائف في القطاع الحكومي.

وطالبت ممرضات في القطاع الحكومي بضرورة فتح برامج تمريض تخصصية للدراسة، وأضفن أن المملكة بحاجة ماسّة لفتح برامج تمريض في تخصصات القلب والقبالة والعناية المركزة وتمريض الطوارئ وصحة المجتمع والتمريض النفسي؛ كونها تخصصات كانت موجودة سابقًا في كلية العلوم الصحية، وتم إغلاقها دون افتتاحها مجددًا رغم الحاجة إليها.

من جانبها، أكدت وزارة الصحة، في تصريح لها، أهمية دعم عطاء الممرضين والممرضات وتوفير الفرص لمواكبة التطورات والمستجدات العلمية، وتشجيع التدريب والتخصصات والمهارات الجديدة في مجالات التمريض، والاستثمار في هذا القطاع الذي يقوم بدوره في تحقيق الارتقاء والتطوير بالخدمات الصحية في المملكة.

"الأيام" – 12 مايو 2022

التحكيم تنتصر لنقابة جارامكو في 7إمتيازات

أكدّ رئيس نقابة عمال جرامكو مجيد الحليبي أن هيئة التحكيم العمالية أصدرت حكمها في القضية التى رفعتها نقابة عمال الشركة بشأن إيقاف جميع الامتيازات التى اوقفت.

وذكر الحليبي للبلاد أن الشركة أوقفت 12 إمتيازا في العام 2014 من قبل مدير بالشركة حيث كان الموظفون يتمتعون ببعض تلك الامتيازات منذ تأسيس الشركة وبعضها مكتسبات لنقابة عمال جارامكو ومنها الزيادة السنوية ونسبة مشاركة الشركة في نظام الادخار حيث تم إيقافها، وبعد عدة مناقشات اجريت مع ادارة الشركة تمّ خفضها من 10 الى 5 ٪.

وأضاف أن النقابة لم تقف مكتوفة الأيدي، وتابعت الموضوع مع لجنة فضّ المنازعات العمالية في وزارة العمل منذ العام 2016 ولغاية عام كامل لم يتمخض عن تلك المناقشات شيئا بسبب إصرار إدارة الشركة وموقف الوزارة المحايد الى أن تمّ رفع الموضوع إلى هيئة التحكيم العمالية التى أصدرت حكماً لصالح النقابة في إرجاع 7 امتيازات وإحالة الامتيازات الأخرى إلى محكمة التمييز.

«البلاد» – 21 مايو 2022

تحرّكات نسائية لإعادة مكتسبات المرأة في «التقاعد»

بدأت نساء عاملات في القطاع الخاص بتحرّكات تهدف إلى تعديل قانون التقاعد الجديد، وإلغاء مساواة المرأة بالرجل في عدد السنوات اللازمة للتقاعد.

كما أن عددًا من النسويات يعملن على إرسال رسالة إلى المجلس الأعلى للمرأة للحصول دعم المجلس في مطالبهن بتعديل قانون التقاعد الجديد، والرجوع إلى القانون السابق الذي يسمح للمرأة في القطاع الخاص بالتقاعد بعد 15 سنة عمل، وشارك في التوقيع على الرسالة مئات النساء العاملات في القطاع الخاص، وما زالت حملة التوقيع على الرسالة مستمرة. وبدأت الحملة في وسائل التواصل الاجتماعي من خلال إطلاق وسم في منصات وسائل التواصل الاجتماعي للضغط باتجاه تعديل القانون الجديد.

وكانت الهيئة العامة للتأمينات قد بيّنت، في توضيحات نشرتها عبر موقعها الإلكتروني، أن القانون الجديد يساوي بين المرأة والرجل في احتساب المعاش التقاعدي وسنوات الخدمة، إذ يشترط إكمال 20 سنة عمل في القطاع الخاص و25 سنة في القطاع العام لاستحقاق المعاش التقاعدي قبل بلوغ سنّ الستين للجنسين، كما يشترط 15 سنة عمل عند الوصول لسنّ الستين للجنسين أيضًا، بعكس القانون السابق الذي يكفل للمرأة في القطاع الخاص التقاعد بمجرد إكمال 15 سنة عمل، و10 سنوات عمل بعد بلوغها 55 سنة.

«الأيام» – 12 مايو 2022

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب
الفنان على
«انستجرام»

اتحاد النقابات يطالب بوقف تنفيذ «التقاعد» 5 أعوام

طالب الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين بتأجيل تطبيق التعديلات والإجراءات المتخذة بشأنها لمدة خمسة أعوام، حتى تتحسن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تمرّ بها البلاد، وحتى تعالج مسبباتها وتخفّ وطأة الأزمة الاقتصادية التي مرّ بها الاقتصاد الوطني.

وقال الاتحاد في بيان له بشأن تعديلات قانون التقاعد بأن: "الارتفاع الأخير في أسعار النفط فرصة لتحسين مستويات الأجور والعمل على فك الضائقة التي تعاني منها الأسر البحرينية». كما أوضح أن: «عجز الصناديق لا يعالج بالانتقاص من حقوق ومزايا التقاعد، بل لابد من إدماج العاطلين في سوق العمل و معالجة ضعف الأجور لتزيد الاشتراكات»، معتبراً أن: «مدّ سنوات التقاعد لخمسة أعوام إضافية يمثل عبئاً ثقيلاً على المرأة العاملة وعلى وضعها الأسري».

وأوضح الاتحاد بأن: "تعديلات التقاعد شكلت صدمة كبيرة بالنسبة للكثير من العاملين في القطاعين الخاص والعام، وأثارت الكثير من الهواجس لديهم حيث أنها أربكت حساباتهم وتطلعاتهم في الحصول على تقاعد آمن بعد انتهاء خدمتهم»، معتبراً بأن: «من قام بتلك التعديلات وكل من كان له دور فيها لم يراع درجة الأهمية التي يعلقها العاملون في القطاعين العام والخاص على مستقبلهم التقاعدي بعد انتهاء مدد خدمتهم، ولم يأخذ في الحسبان حساسيتهم إزاء أهم مرحلة في حياتهم وهي مرحلة ما بعد خدمة العمل، حيث لا ضامن لهم سوى معاشاتهم التقاعدية التي تعينهم على قضاء العمر في كرامة وأمان من الفقر والحاجة».

مشدداً على أن: "إخراج الهيئة من الأزمة المالية سوف يترك آثاراً إيجابية على نفوس جميع الخاضعين لأنظمة التأمين الاجتماعي من متقاعدين ومشتركين، ويشكّل مخرجاً من حالة التوجس التي تنتاب المتقاعدين والمقبلين على التقاعد من أية تداعيات سلبية على مستقبلهم التقاعدي».

في دورته الثامنة ..
المنتدى الفكري السنوي للتقدمي يناقش تحوّلات المدينة الخليجيّة وآفاقها

كعادته كل عام، أقام المنبر التقدمي مؤتمره الفكري السنوي، الذي عالج هذا العام موضوع: «المدينة الخليجية .. التحوّلات والآفاق» بحضور عدد كبير من أشقائنا من دولة الكويت الشقيقة، أعضاء ومناصري الحركة التقدمية الكويتية، الذين يضيفون بحضورهم السنوي ومساهماتهم في دورات المنتدى أهمية كبرى إن من خلال ما يقدمونه من أبحاث فيه أو من خلال مشاركتهم في إثراء مناقشاته، وكذلك بحضور باحثين من سلطنة عمان الشقيقة الذين نسعد دوماً بما يقدّمونه من أوراق مميزة في المنتدى، وكذلك بالحضور الكبير لعدد من الشخصيات الوطنية المرموقة وناشطين ونقابيين وممثلين لمؤسسات المجتمع المدني، أثروا مناقشات المنتدى ومداولاته.

جانب من الحضور

وكما في كل دورة استضافت هذه الدورة من المنتدى عقولاً نيرة لباحثين من مختلف دول الخليج العربي، لمناقشة قضايا جوهرية ومحورية تتصل بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بلداننا، من أجل تشخيص المعضلات التي تواجهها مجتمعاتناعلى الأصعدة المختلفة، ووهذا ما تشهد عليه موضوعات الدورات السابقة لهذا المنتدى والتي جرى توثيقها جميعاً في كتب أصدرها المنبر التقدمي.

الأمين العام للتقدمي: وظائف منتظرة من المدينة الخليجية

في كلمته الافتتاحية للمنتدى رحبّ الأمين العام للمنبر التقدمي الرفيق عادل متروك بمقدمي الأوراق وبضيوف المنتدى وكل الحاضرين، ملاحظاً أن الباحثين المشاركين في هذه الدورة حرصوا على معالجة موضوع المدينة بأبعاده المختلفة، ليس فقط العمرانية منها، وإنما الاقتصادية والاجتماعية والسكانية، ومحاولة معرفة العراقيل بمختلف أنواعها ومنها القادمة إلينا مع الحداثة المشوهة بما فيها من التباس وتشويش أو تلك الكامنة في بعض الثوابت الموروثة المعطلة لمسيرة الوعي الجمعي.

وأكدّ الأمين العام في كلمته على أن «صيرورة الوعي وتطوّره في أي مجتمع، تأتي أولاً من تملك النخبة الفكرية والسياسية فيه لتصور ومعرفة مسبقة لكيفية انتاج السلعة وتهيئة المزاج العام لاستقبالها، ثم يتم انتاجها وتداولها، لتؤدي فعلها وأثرها، وهذا مانسميه بالثقافة الإبداعية التي اعتادت تخليق المعرفة تخليقاً متجذراً بما لها من تراكم معرفي وسلوك واعي، اصبح معه

الأمين العام: نحن أمام تحوّل تراكمي أنتج ثقافة ووعياً مشوهيّن جراء الثراء الناجم عن عوائد النفط

ارثاً يخدم علاقة الفرد بمن حوله وبالمجتمع وبطبيعة نسق الإنتاج السائد فيه، بينما في مجتمعاتنا تأتينا ادوات الإنتاج مستوردة وجاهزة تمّ التفكير فيها وابداعها واختراعها في بيئة ومجتمعات أخرى، ولغايات تخدم تلك المجتمعات، لتصبح معها ايضا معرفتنا مستوردة وجاهزة ومعلبة خالية من الإبداع ويمكننا وصفها بالمعرفة الملازمة للأنظمة الكومبروداراية.»

وأضاف: "نحن هنا، إذن، أمام تحوّل تراكمي مشوه أنتج ثقافة ووعي مشوهين، حيث نلمس التناقض بين التحولات المادية الكمية والنوعية التي أحدثها واقع مستجد جرّاء الثراء المفاجئ الناجم عن عوائد النفط وما تبع ذلك من هرولة نحو استيراد أحدث تقنيات وصرعات مواد الإستهلاك والبهرجة العمرانية المبالغ فيها، وبين المعرفة والثقافة كوعي يجب أن يتأصل في سلوك المجتمع.

وخلص الأمين العام إلى أن «أولى الخطوات اللازمة لكي تتحرر المدن الخليجية من ذلك، هي في أن يستقل وجودها المادي من القيود السياسية والاقتصادية بشروطه الحالية، وحين تتحقق هذه الأمنية سوف تؤدي غرض ووظيفة اجتماعية واقتصادية تخدم الإنسان في الخليج وتنمي مداركه لكي يضطلع بدوره الفعلي في بناء وتطور مجتمعاتنا، وهذا لا يمكن أن يتأتى إلا من خلال توافر عوامل وشروط محددة لطالما أعدناها مراراً، وسوف نظل نعيدها مادمنا نشعر أنها لم تتحقق بعد ومنها:

تحفيز الاقتصاد المحلي المنتج والموجه.

وضع البرامج ورصد الميزانيات القادرة على إعداد الكوادر الوطنية المؤهلة والمتخصصة بإدارة المشاريع الاجتماعية والاقتصادية.

اطلاق الحريات العامة والمشاركة الشعبية في رسم السياسة الوطنية.

توسيع الصلاحيات النيابية وإنشاء محاكم متخصصة لمحاربة الفساد بمختلف أنواعه.

أحمد الديين وخليل يوسف

علي فخرو

أحمد الديين: قصة مدينتين

الباحث الكويتي الرفيق أحمد الديين الأمين العام السابق للحركة التقدمية الكويتية قدّم ورقة بعنوان: «قصة مينتين .. الكويت والأحمدي»، حيث أوضح أننا «عندما نتحدث عن مدننا الخليجية فإننا نجد أنفسنا أمام حالات متباينة سواء لمدن تتراجع أهميتها وتتحوّل إلى مدن هامشية أو ربما هي تنقرض؛ ومدن أخرى تبرز وتتسع وتتنامى... ولعلّ النقلة السريعة، التي شهدتها بلدان الخليج العربية ومجتمعاتها بعد النفط في ظل نشوء وتشكّل نمط الانتاج الرأسمالي الكولونيالي التابع، أدت إلى تسارع مثل هذه العملية، حيث شهدنا في غضون حياة جيل واحد نشوء مدن جديدة لم يكن لها وجود قبل ذلك، وأبرزها المدن النفطية الثلاث: عوالي في البحرين، والظهران في السعودية، اللتين تم إنشاؤهما في بداية ثلاثينات القرن العشرين، والأحمدي في الكويت، التي أنشئت في نهاية الأربعينات، كما شهدنا في المقابل ضمور مدن أخرى، بل تفريغها من السكان، مثل مدينة الكويت العاصمة في عقد الستينات، بعد أن كانت ميناء ومركزاً تجارياً نشطاً منذ أواخر القرن الثامن عشر.

الكويت والأحمدي

وأوضح الباحث أن ورقته التي تحمّل عنواناً مستوحى من رواية تشارلز ديكنز، «قصة مدينتين» أن تلقي ضوءاً على نشأة مدينتي الكويت والأحمدي والتحولات التي شهدتاها واستشراف آفاق مستقبلهما كونهما المدينتين الرئيسيتين في دولة الكويت، فمدينة الكويت هي العاصمة، ومدينة الأحمدي هي عاصمة النفط... كما يعود اختيارهما إلى أمر آخر يتصل بنشأة المدينتين وأفولهما، فمدينة الكويت نشأت بالأساس كميناء، مستفيدة من موقعها على جون الكويت الهادئ، وارتباطها تاريخياً بخطوط النقل البري للقوافل، فيما نشأت مدينة الأحمدي كمقر لإدارة شركة نفط الكويت وسكن العاملين فيها ومنطقة لتجميع النفط المستخرج من حقول النفط القريبة في برقان والمقوع والأحمدي وضخه عبر الأنابيب إلى ميناء التصدير، بالاستفادة من ارتفاع مستوى المدينة عن سطح البحر، بحيث يتم الضخ بقوة الجاذبية من دون حاجة إلى استخدام معدات الضخ، ما يخفض كلفة الانتاج، بالإضافة إلى كون الأحمدي مشروع مركز كولونيالياً، وهذا كان واضحاً في الطراز المعماري لمدينة الأحمدي وتخطيط طرقها ومستوى خدماتها، والأهم من ذلك كان واضحاً في تركز البريطانيين والأميركان فيها»

علي الرواحي ويوسف شمّوه

الديين: نحن أمام مُدن تتراجع أهميتها وربما تنقرض، وأخرى تبرز وتتسع وتتنامى بسبب نشوء نمط الانتاج الرأسمالي الكولونيالي

وأشار الديين في ورقته إلى أن الوضع «قد تبدل عندما بدأ الدور الوظيفي لهاتين المدينتين في التداعي، بحيث لم تعد الكويت الميناء الرئيسي للعراق وشمالي الجزيرة العربية، فقد تراجعت أهمية المدينة، ومعها جاءت الضربة القاصمة لمدينة الكويت عبر تنفيذ المخطط الهيكلي الأول في العام 1952 الذي أفرغها من سكانها، من خلال استملاك منازل المواطنين فيها ونقلهم إلى السكن في الضواحي، وهذا ما عكسه على نحو ساخر المسلسل التمثيلي الكويتي الشهير «درب الزلق» الذي انتجه تلفزيون الكويت في السبعينات... وعلى نحو أقل دراماتيكية فقدت مدينة الأحمدي دورها الوظيفي شيئاً فشيئاً مع اتساع النطاق الجغرافي لحقول النفط المكتشفة والمنتجة في الكويت، بحيث لم تعد هذه الحقول ومرافق الصناعة النفطية متركزة بالقرب من الأحمدي، مثلما كانت الحال عند انشائها في النصف الثاني من الأربعينات».

وأشارت الورقة إلى أنه «بعد منح شركات أميركية ويابانية امتيازات أخرى للتنقيب عن النفط، لم تعد شركة نفط الكويت هي الشركة النفطية الوحيدة في الكويت... ولاحقاً في العام 1975 بعد تأميم شركات النفط في الكويت، ما طرأ من تغيير على تركيبة اداراتها وجنسيات العاملين فيها، لم تعد الأحمدي تلك المدينة الكولونيالية البريطانية، وإن حافظ طرازها المعماري على شكله، حيث لم تعد مدينة الأحمدي تمثل المركز الوحيد للصناعة النفطية في الكويت، وإن استمرت مركزاً لإدارة شركات النفط، وبذلك فقد أفلت المدينتان، ولعله مثلما شهدنا في مسلسل «درب الزلق» أفول مدينة الكويت بعد التثمين، فقد تنبأت مسرحية «الكويت سنة 2000» التي جرى عرضها في العام 1965 بأفول كارثي لمدينة الأحمدي... وسنقرأ في ثنايا هذه الورقة قصة المدينتين».

عبدالهادي الجميل

حسن مدن

فهد حسين

علي الرواحي:
الفضاءات العامة في مسقط

من جانبه تناول الباحث العماني علي الرواحي في ورقته موضوع «الفضاءات العامة في مسقط، أو كيف يتشكل الفرد في الريف المتمدن؟»، حيث لاحظ أن سلطنة عُمان، ناهيك عن العاصمة العُمانية مسقط، «تتشكل من تقسيمات مناطقية ذات مرجعيات قبلية، وعائلية. وهذا ينعكس على مسميات الكثير من المناطق المختلفة، فهذه المسميات تعكس سياقات تاريخية، وتُشير لمناطق نفوذ محددة لهذه المناطق، كما تُشير بدرجة موازية لتجمعات عائلية كانت مسيطرة عليها في فترات تاريخية سابقة. فالتاريخ يحضر في تضاريس الجغرافيا بطريقة لا يمكن تجاهلها، بحيث أن الرسائل الضمنية والواضحة، مهما حاول العقل الجديد وبشكل خاص غير المحلي غض الطرف عنها، فإنها تقف بالمرصاد في كل اللافتات واللوائح الإرشادية التي تُشير لأسماء المناطق والقرى العُمانية المختلفة.»

وأضاف: "منذ البدء، وبعيداً عن الجانب التاريخي المتجسد في المباني والآثار التاريخية لها، التي تشير لصراعات مختلفة، نجد أن الأودية والقرى والبلدات ليست محايدة أيضاً، بل تملأ الفضاء العام بالمضامين التاريخية، والتجاذبات السياسية، والإرث العائلي. وهذا لا ينطبق على محافظة دون الأخرى، فهو سمة أساسية من سمات الجغرافيا العُمانية، أو ما يمكننا أن نُطلق عليه تراصف التاريخ والجغرافيا، حيث نجد في محافظة الباطنة بشمالها وجنوبها – على سبيل المثال، أسماء قرى وبلدات تُنسب لأفراد ولأسر وعوائل، أو سميت بأسمائهم، تخليداً لذكراهم، أو لسيطرتهم عليها، أو لإقصاء

عبيدلي العبيدلي

فلاح هاشم

الآخرين من فضاءاتها».

كما لاحظ الباحث «أن السمة الأساسية التي تجعل مسقط مختلفة عن بقية المناطق الأخرى، هي أن الفضاء العام لا يُنتج عقلاً متمدناً، أو عقلاً مؤسساتياً يوازي الجهود المختلفة بالرغم من ضعفها والملاحظات الكثيرة عليها، ولا يساهم في تأسيس تفكير مقطوع الصلة بالتجاذبات القبلية والصراعات السابقة، بل وعن طريق هذه الأسماء وغيرها من العوامل الأخرى التي لا صلة لها بهذه الورقة، وهذا التوزيع المناطقي كما هو الحال في ولاية السيب – على سبيل المثال – في حيل العوامر، وسور آل حديد، وغيرها من القرى، يُغذي هذا الجانب بل ويضعه حاضراً أمام الأذهان بشكل مستمر».

من وجهة نظر الباحث فإن الأمر في مسقط "لا يقتصر على المسميات، بل يصل أيضاً وبدرجة كبيرة لجغرافية الأماكن وطبيعتها العميقة، فالجانب الريفي يحتل في العاصمة مسقط الجزء الأكبر منها، وهذا يصل لما يزيد عن 70٪ من المساحة الكُلية للعاصمة. فولاية السيب، بوشر، قريات، القرم، الوطية، وغيرها من المناطق السكنية والعمرانية، تعتبر بمعنى من المعاني امتدادات للقدامة، والتراث، والجذور الريفية. بهذا المعنى، لا توجد مناطق ومدن حديثة في مسقط، إلا محاولات متبعثرة، غير منهجية، وغير مُنظمة، لزرع المعمار الحديث في وسط هذا الريف الذي يسعى للتمدن بخجل. وحتى هذه المحاولات المبعثرة ترضخ تحت قدامة من نوع آخر، تتمثل – على سبيل المثال – في سكن قبائل وأسُر معينة في مناطق جغرافية محددة».

الفضاءات العمومية، الزمن، وحدود التعددية:

في مقابل ذلك، يلفت الباحث إلى أن مسقط «تمتلأ مثل الكثير من المحافظات الأخرى، بالأماكن العمومية الجديدة، والمتنوعة، المتوجهة لأجيال جديدة، مغايرة عن الأجيال السابقة، ولاحقة لها، فهي تسكن في التخوم، بين الجانبين، بين المسميات القديمة المتناثرة في الأماكن والقُرى والأرياف داخل مسقط وخارجها، وبين التقنية الحاضرة في كل مكان من جهة، والتواجد في الأماكن العمومية كالمقاهي والمطاعم، والإنشغال بالوظائف التقنية الجديدة من الجهة الأخرى.

لكن التحديث، بمنظور الكاتب «لا يزدهر عن طريق المقاهي، والفضاءات العمومية التجارية، بل يجد دفعته الأولى في الأماكن العمومية الأكاديمية التي يزدهر فيها النقاش، والحوار بين وجهات النظر المختلفة، ولا يقوم التمثيل بالمعنى السياسي والاجتماعي بمهمته على أكمل وجه، دون وجود حاضنات حضرية تستوعب هذا التنوع وتغذيه»،

جانب من الحضور

وهذا بدوره "لا يزدهر في ظل وجود أحادية لغوية وثقافية، فطرق التعبير ليست ذات طبقة واحدة، ولا تستخدم أداة مُفردة، بل هي عبارة عن تركيبة متداخلة من التسهيلات والتشريعات السياسية المُحفزة لوجودها».

هشام عقيل: المدينة الخليجية ونمط الإنتاج الكولونيالي

الباحث البحريني هشام عقيل تناول في ورقته موضوع «المدينة الخليجية ونمط الانتاج الكولونيالي»، حيث انطلق من «أن تحديد بنية نمط الإنتاج، يحلل علم عمران التاريخ، هذه البنية من ناحية: البنية الأساسية، وبنية الممارسات الاجتماعية، والبنية الاقترانية. وبالبنية الاقترانية أعني التالي: بأن كُلّ الأنماط الإنتاجية في التاريخ إما تقترن سينكرونياً وإما دايكرونياً. في حالة نمط الإنتاج الرأسمالي، ثمة فصيلتان لمثل هذا النمط: أحدهما يقترن سينكرونياً (البلدان المتروبولية) وثانيهما يقترن دايكرونياً (البلدان الكولونيالية). الاقتران السينكروني يعني، ببساطة شديدة، بأن عناصر نمط الإنتاج تقترن ضمن منطق البنية الاجتماعية القائمة؛ بأن هذه العناصر تحدث تحوّلاً بشكل متزامن مع منطق البنية الاجتماعية القائمة. أما الاقتران الدايكروني فأنه يعني بأن عناصر نمط الإنتاج تقترن بشكل لا- متزامن مع منطق البنية الاجتماعية القائمة.

وتوقف أمام أن «رأس المال الكولونيالي يختزن توجهين متناقضين، وهذه الحقيقة موجودة بدءاً من المستوى التجريدي الذي نفترض فيه بأن نمط الإنتاج الكولونيالي موجود في جزيرة معزولة عن العالم بغض النظر عن التأثيرات الخارجية، أيّ وفق نمط الاقتران نفسه، ليلاحظ بأن التراكم الكولونيالي لا بد أن يتميز بعلاقة نسبية. حين نحلل التراكم الكولونيالي ككل سنجد بأن ثمة تناسباً عكسياً ما بين التوجهين، وحالما نعيّن للتوجهين معدلاً غير متكافئ للتراكم (وذلك لأننا نفترض بأن التراكم يدور حول توجه واحد بالتحديد؛ وهذا ما أسميه بالحركة المحوّرية) فإننا سنكون أمام علاقة نسبية ما بين معدلي التراكم الكولونيالي، وينعكس ذلك مباشرة على النسبة ما بين إنتاج الوسائل الإنتاجية وإستهلاكها. نطلقُ على هذه النسبة تسمية التراكم – النسبي، لا بمعنى بأن التراكم الكولونيالي هو نسبي، بل بأن التراكم الكولونيالي يختزن هذه النسبة".

هشام عقيل وسمية اليعقوبي

مميزات رأس المال الكولونيالي

اورد الباحث سبع ميزات يرى أنها ملازمة لرأس المال الكونيالي، فهو، أولاً، لا يتقدم إلا إذا قامت حركته المحوّرية على توجه واحد بالتحديد، في تحقيقه لوظيفته، إذ إن هذه الوظيفة هي التي يتمحوّر عليها معدل الربح، وثانياً، فإنه كلما يتقدم رأس المال الكولونيالي يخلف – بالضرورة – مقادير أعظم للتراكم النسبي، وثالثاً، فإن هذا المقدار من التراكم النسبي لا يُمكن أن يستثمر في تنمية الوسائل الإنتاجية فلا بد أن يُستثمر في قطاعات اخرى (وفي نموذج التراكم، يستثمر التراكم النسبي في رأس المال الثابت للقطاع الثاني)، ورابعاً ينص القانون العام لتطور نمط الإنتاج الكولونيالي بأنه كلما هبط معدل الربح كلما تضخم معدل التراكم النسبي (أيّ التراكم النسبي قسمة القيمة الزائدة)، وخامساً يتضخم التركيب العضوي الكولونيالي بفعل تضخم التراكم النسبي، والعكس بالعكس، وفقاً لهذه الحقائق، لا بد أن نقول، سادساً، بأن القوى الإنتاجية الكولونيالية تتطور بشكل محدود بنيوياً كأثر لطبيعة العلاقات الإنتاجية نفسها، وسابعاً نكتشف بأن نمط الإنتاج الكولونيالي محدود بنيوياً (أو لنقل: لأسباب داخلية) قبل أن نحلله في علاقته التبعية في النظام الرأسمالي العالمي، إذ أنه محدود بنيوياً بطبيعته لا بفعل خارجي (سواء أكان الشكل الملموس الذي يظهر عليه أو «التأثير الإمبريالي» المباشر عليه كما تقول نظريات النظم العالمية، والتبادل اللامتكافئ، وغيرها)؛ هذا بغض النظر عن كل التأثيرات الخارجية الأخرى.

وبرأي الباحث «فإن كُلّ البلدان الخليجية تتشارك الميزة التالية: بكوْن الوظيفة الكومبرادورية هي الطاغية فيها، وبأن الوظيفة هذه تطغى في الإنتاج النفطي أساساً. لكن دعنا لا نُسيء فهم هذه الحقيقة. أنا لا أعني بذلك بأن طغيان الوظيفة يرجع إلى ما يُسمى بتخصص البلدان في التقسيم العالمي للعمل، وبالأخص تلك التحليلات التي تقوم بتشخيص بلدان الخليج (وغيرها من البلدان) كمصابة بالداء الهولندي. وإنما أشير إلى الحقيقة البنيوية للوظيفة الكولونيالية ككُلّ».

عن مقابلة صحيفة «البلاد» مع ممثلي الجمعيات السياسية حول الاستعداد لانتخابات 2022 النيابية والبلدية

عبد الجليل النعيمي*

أجرت صحيفة «البلاد» البحرينية ندوة حول الاستعداد للانتخابات النيابية والبلدية ٢٠٢٢ مع ممثلي الجمعيات السياسية: المنبر التقدمي، الوحدة الوطنية، التجمع القومي الديمقراطي، بينما اعتذر ممثل جمعية الأصالة. وقد جرت المقابلة عن طريق برنامج الزووم المسجل بين الساعة الواحدة والثانية من بعد ظهر الأربعاء، ٢٧ إبريل ٢٠٢٢. وفي الأربعاء التالي، ٤ إبريل ٢٠٢٢ تم نشر مادة عن هذه الندوة في العدد ٤٩٥٠.

نود الإشارة هنا إلى ما أُسقط في عدد «البلاد» المذكور من نقاط مهمة ذكرها ممثل التقدمي في الندوة:

وأهمها الإشارة إلى إخفاق الإعلام الرسمي والخاص أحيانا في اعتبار الجمعيات السياسية جزءاً مكوّنا في البناء السياسي في مملكة البحرين، وإعطاء هذه الجمعيات المساحة الكافية في هذا الإعلام، وخصوصا في فترة الحملات الانتخابية، كي تستطيع الجمعيات تقديم مرشحيها وعرض برامجها الانتخابية والوصول إلى الجماهير بشكل واسع عبر الفضاء الإعلامي.

التأكيد على ضرورة إلغاء ما عُرف بالعزل السياسي، الذي حرم كوادر وطنية كثيرة من المشاركة في الانتخابات. وقد تكون هذه الشخصيات ذات أداء قوي ومفيد في البرلمان في حال أنها فازت.

الإشارة إلى تراجع العملية الديمقراطية، ومنها البرلمانية خلال مسيرتها منذ بداية الألفية، والمناخ السياسي الذي أدى إلى وصول كثرة من "المستقلين"، ما أضعف الأداء البرلماني.

تراجع صلاحيات البرلمان، التي لعب عدد من النواب المنتخبين، للأسف، دورا نشطا في دعم مصادرة صلاحيات النواب أنفسهم، وبالتالي عجز المجلس عن أداء مهامه.

وكنتيجة لذلك المناخ السياسي حدث اختلال كبير في ميزان القوى لغير صالح الدفاع عن حقوق المواطنين وصيانتها وتطويرها.

أُسقط ما ذكره ممثل "التقدمي" من أنه رغم الاعتزاز الكبير بأداء كتلة "تقدّم" واحترام مختلف فئات شعبنا له (وهو ما أكد عليه أيضا الأَخَوَان ممثلا الوحدة الوطنية والتجمع القومي الديمقراطي)، إلا أن "التقدمي" وكتلة "تقدم" لا يكتفيان بالرضى عن الذات، بل يُخضِعا أداءهما البرلماني، لمزيد من التقييم

بهدف استمرار تطويره مستقبلا.

كما أهملت الصحيفة ما ورد من حديث عن قانون الجمعيات السياسية كمعيق لدور الجمعيات السياسية في العملية الانتخابية والحاجة إلى وضع تشريعي وعملي أفضل للحالة السياسية في البلاد.

وفي معرض الإجابة على السؤال الأساس الذي وضعته الصحيفة عنوانا للندوة "استعداد الجمعيات السياسية للاستحقاق الانتخابي" أهملت الصحيفة ما ذُكر عن الجهود التي يبذلها "التقدمي" حاليا في دراسته للدوائر ذات الحظوظ الأفضل بالنسبة له واختيار أفضل ما لديه من كوادر متقدمة من حيث مواصفاتها الشخصية والسياسية والمهنية لتقديمها لجماهير الناخبين كمرشحين أقوياء للانتخابات القادمة، معتبرين ذلك تكليفاً لا تشريفاً من أجل خدمة قضايا شعبنا التي نذر المنبر التقدمي نفسه من أجلها.

كما لم تُشر الصحيفة إلى ما ذكره ممثل "التقدمي" من مستويات التحضيرات البرنامجية والتنظيمية واللوجستية والقانونية والمالية وغيرها التي بدأ "التقدمي" يعد نفسه لها، والصعوبات التي تواجهه على هذا الطريق.

ولم تشر الصحيفة أيضا إلى ما قاله ممثل "التقدمي" من أن جمعيته كانت وستظل تنظر إلى المرشحين الوطنيين الكفوئين الآخرين من غير قائمتها ليس كمنافسين بل أنها تبدي جل ما تستطيع من دعم لتمكين وصولهم من أجل تعزيز ثقل حضور مثل هؤلاء النواب في المجلس النيابي.

وعن المشاركة في الانتخابات البلدية أُسقطت إشارة ممثل "التقدمي" إلى ضعف الإمكانيات التي حالت وتحول دون جمعه بين العمليتين الانتخابيتين، رغم الأهمية البالغة لدور المجالس البلدية ودعمه لها، بما في ذلك دعم المرشحين الوطنيين الكفوئين لهذه المهام.

وعلى أية حال فسنظل نأمل في أن تلعب صحافتنا الوطنية دورها المتجرد، المنصف والداعم لانتخابات نيابية وبلدية قادمة نزيهة تساعد في أن تنعكس في البرلمان والمجالس البلدية إرادة غالبية فئات شعبنا والقدرة على تحقيق طموحاتها.

*عضو اللجنة المركزية للمنبرالتقدمي

مطرقة البرلمان

واقعنا في لحظة تأمل مع الذات

بكل تأكيد، تبقى اسئلة الشارع البحريني بكل شرائحه وتلاوينه السياسية مشروعة، خاصة حين يسخن بالتدريج الحراك الانتخابي استعدادا للانتخابات النيابية والبلدية المقبلة في اكتوبر/ تشرين أول القادم، وبعد اربع سنوت أخرى من العمل البرلماني الذي يقيّمه الشارع البحريني باستمرار أنطلاقا من قناعات تأسست وبُنيت عبر مساحة زمنية تمتد لفترة تزيد قليلا على عقدين من الزمن، وتحديداً بعد المصادقة الشعبية والرسمية على ميثاق العمل الوطني في الرابع عشر من فبراير/شباط ٢٠٠١.

عبدالنبي سلمان

ليس مستغرباً أبداً أن نألف موجات عارمة تتصاعد كثيراً، بل وتستعر أحيانا كثيرة ولفترات تطول وتقصر، وتعود لتخبو قليلا حتى تعاود الظهور مجددا وبأشكال وردّات فعل مختلفة واحيانا بوجوه وأمزجة وحتى تقليعات مختلفة أيضاً، ليتساءل الناس مشدوهين عن مصدرها ومن اين اتت وكيف هيأ لها، وهي في الحقيقة تفصح بشكل أو بآخر عن حراك مجتمعي تتلاعب في توجيهه قوى ومصالح وتوجهات، ويتعزز فيه تبعاً لذلك حضور اللاعبين الأقوياء او المؤثرين مجتمعيا، وبحسب مواقعهم في مراكز النفوذ والقرار على التأثير وحتى الاختراق أحيانا، خاصة في فترات الضعف والتراخي والإنزواء وربما اليأس!

وأعتقد أن طبيعة الحراك السياسي والإجتماعي والإقتصادي تحديداً بشكل عام هي ذاتها من تفرض مزاجاً مرشحاً له أن يستمر أو حتى يتلاشى بالتدريج، وإن تفاوتت الأمور من بلدٍ الى آخر، فالشارع لدينا مثله مثل غيره من دولنا العربيّة وبلداننا النامية التي تبحث فيها الديمقراطية عن من يمكن أن يتقبلها بشكل مخلص وصبور وعاقل كممارسة وفهم ومنهاج لا يخلو أبداً من المثالب والهنّات، وذلك بكل تأكيد ليس حصراً على البحرين كدولة وشعب، حين تتداخل لدينا طموحات وآمال هي في صميمها مشروعة بكل تأكيد، لكن ربما ينقصها فهم الواقع القائم بكل ملابساته وجنوحه ومصالحه ومتاريسه وحتى عدوانيته أحياناً، خاصة حين تتداخل لدينا ومع استمرار التجربة، التي لازلنا للأسف نسميها تجربة، أمور عدّة ليس أولها بطبيعة الحال الشأن الإنتخابي، إلا أن ذلك يبقى شئنا أم أبينا عاملا مؤثرا بكل تأكيد.

وحين تتداخل الرؤى وتتباعد بل وتتنافر تبعا لتداخل المصالح وتبدّل مراكز القوى والتأثير وحضور مبدأ صراع الأضداد احيانا... لنتساءل مشدوهين كيف لنا أن نفهم هذا الواقع الملتبس، البائس، المخادع، الغائب والمغيب عن فهمنا الموسوم بالحذر والريبة وربما المتضخم أحياناً بكبرياء وجهل لا نريد الإقرار به!

نمتلك حق كل هذا الطموح المشروع في تحسين واقعنا والإرتقاء بهذا الوطن وناسه، من أجلهم ومن أجل أبناءنا وأحفاد أحفادنا، كيف لنا ذلك ونحن المبتلون بحبه حتى الثمالة.. فعلا أسئلة محيرة!! أحياناً نجد أنفسنا في موقع بيضة القبان، وأحيانا تجدنا نتوزع حتى دون علمنا يساراً أو يميناً، لكي لا تفلت منا تلك اللحظة التاريخية التي ربما نعتقد أنها لربما فتحت افق الظلمة نحو سفر الخروج نحو المستقبل بأقل التكاليف التي نريدها لوطننا ولشعبنا..

تلك مهمات صعبة على العقلاء أن يتفهموا برويّة مآلاتها فذلك يقيني الذي لن أحيد عنه..

اقول ذلك ونحن نتجه خلال اربعة شهور من الآن نحو سجال انتخابي، ارجو ان يكون صحياً باتجاه تكريس حق دستوري طالما سعينا جميعا نحوه، ونحن نحاول جاهدين أن نغادر سنوات أمن الدولة بظلمها وظلاميتها، وحتى يكون لشعبنا ولوطننا موقعا تحت الشمس، كما يقال، بإعتبارنا شعب ذا تاريخ وحضارة يحسدنا عليها الكثيرون. علينا ان نستمر في مشوار المليون خطوة بإتجاه الوطن والناس الذين ينتظرون منا الكثير وستُحملنا اجيالهم اللاحقة مسؤولية تاريخية، أرجو أن لا نساهم في الانتقاص منها، فدوافعنا مهما كانت سياسية او وطنية أو فكرية أو أيديولوجية أو نفعية أو حتى انتهازية ستكشفها الأيام وحتما ستنتصر الحقيقة يوماً فذلك ما تعلمناه من التاريخ.

باعتقادي إن تمسكنا بتلك الروح الإيجابية التي لا تقبل السقوط او التراجع، كفيل بأن يقودنا يوماً، شعباً ووطناً، بل وأمة نحو المستقبل الذي حتما لن يخلو هو الآخر من التحديات فتلك هي طبيعة الأمور وتلك هي سيرورة الحياة.

بتلك الروح يجب أن نفكر وبتلك العقيدة يجب أن نستمر بناة حضارة وقيم لا تقبل السقوط مهما تداعت من حولنا المحبطات..وبهكذا روح ومبادىء وإيمان حقيقي يجب أن نشغل مساحات عقولنا الوجلة القلقة، والتي لا يجب أبداً أن يشغلها الإنهزام والعدمية على الدوام..وحتى لا نسهم دون أن ندري في تكريس المزيد من السقوط والتراجع.

المواطن هو
الخيار الأول فى سوق العمل

البحرينى قرار .. لا خيار

كان لافتاً ومعبراً شعار "البحرينى قرار وليس خياراً» الذى رفعه اتحاد عمال البحرين فى حفله السنوى الذى اقامه فى ٢٨ مايو بمناسبة يوم العمال العالمى تحت رعاية جلالة الملك، وكان لافتاً أيضاً تأكيد مجلس الوزراء قبل ذلك بأيام، وتحديدا فى جلسته المنعقدة فى ٢٦ ابريل وفى شأن ذات المناسبة بأن "المواطن هو الخيار الأول فى سوق العمل"، وبين العنوانين، أو الشعارين، أو الهدفين، او الهاجسيّن، والرابط المشترك، نتوقف امام هذا الملف المتشعب الذى بات بحاجة الى استنفار على درجة عالية من الوعي بواقع الحال، والحس الوطنى والارادة والادراك بالحقائق والأخطار الصارخة والكف عن اعتماد سياسة النعامة ..!

خليل يوسف

علينا بادئ ذى بدء الإشارة إلى ملاحظة تتصل بالشعار المذكور، إذ كان بودنا أن نجد فى الكلمات التى أُلقيت فى تلك المناسبة من يوضح لماذا هذا الشعار، وماذا يعنى، وما هي موجبات تبنيه ورفعه، وما هى التحديات والحقائق التى تقف ولا تزال تقف بوجه الوصول إلى هذا الهدف، كان بودنا ذلك، كما كان بودنا أن يعي كل المعنيين بأن هناك من شبابنا من أعياهم الانتظار، طوابير طويلة تزداد طولاً واتساعاً على الدوام، فى انتظار بارقة عمل وأمل، وهذا حق لهم وليس منّة او منحة، والواجب يقتضى أن لا يكونوا فى سوق العمل مجرد خيار، هذه هى الخلاصة المعبّرة التى تثبت بالملموس مدى الحاجة إلى التأكيد عليها، هنا، فى هذه الحالة نكون قد حققنا إنجازاً يعتدّ به بعيداً عن أي شكل من اشكال التضييق على أبناء البحرين بذريعة حرية سوق العمل، أو جعلهم الخيار الأول فى هذا السوق فيما اتجاه هذا الخيار معاكساً.

يعلم الجميع، كل الجهات والقوى أن ما هو مطلوب حيال هذا الملف إرادة بحرينية جامعة تكون الآلية الفعالة لبلوغ هذا الهدف كما يجب دون تشابك الأهداف والمرامي وتختلط إلى درجة تبقينا فى دائرة المراوحة أو السير المعاكس لما يعلن من أهداف، ويعلم الجميع كذلك أنه لابد إذا كنا جادين فى بلوغ ذلك الهدف من التخلص من المعيقات المرئية وغير المرئية، ومن ضمنها تلك التى يخلقها أصحاب المطامح والمطامع المستفيدين من غياب الحلول الفعلية والفعالة ولا يهمهم أين تكون البداية وإلى أين النهاية فى ما يخص التعاطى مع ملف البحرنة حتى وإن وصل الأمر إلى حالة كاملة من اليأس من بلوغ المعالجات الحصيفة التى باختصار تقتضيها المصلحة الوطنية .

تذليل ما يعترض هدف البحرنة من عقبات لن يتم إلا فى إطار إرادة سياسية حقيقية ترفع راياتها بوضوح ويلتزم بها الجميع، وتدفع وبحماس درجة التجانس بين كل الأطراف المعنية إلى الإلتزام الكامل بإعطاء البحرنة الاعتبار اللازم، والمكانة اللازمة، والمساندة الواجبة، التزام بكل معنى الإلتزام لتحقيق هذا الهدف الوطنى دون ضجيج او شعارات المراوحة الخالية من المضمون الحقيقي، والإلتزام المطلوب.

مؤسف جداً الإمعان فى استمرار حال المراوحة وتكرار الكلام المستهلك، منذ سنوات طويلة وحتى الآن والحديث يدور حول هدف سياسة جعل المواطن الخيار الأول فى سوق العمل، وهى السياسة التى أبقت مسألة البحرنة أقرب إلى الإلتزام الشكلي الخالى من المضمون، رغم الشعارات التى طرحت فى هذا السياق والتى تذاكى بعض المسؤولين وتشاطروا فى ترددها والترويج

لها، ولأرقام يصدرونها على هواهم لا يمكن أن نشعر إزاءها إلا بمدى الحاجة إلى الشفافية والصدقية، يفعلون بمناسبة ومن دون مناسبة، لإيهامنا بأنهم يحققون انجازات باهرة على طريق توفير فرص العمل المطلوبة واللائقة للمواطنين، وانهم جديرون حقاً وفعلاً بكل ثناء وتقدير.

بناء على ما تقدم، وعلى الكثير مما أثير فى شأن ملف البحرنة منذ سنوات وحتى الآن، والكثير من التصريحات والبرامج والمشاريع والخطط التى مرّت علينا نرى أن ثمة ما يجب ان نتوقف عنده، ونؤكد عليه:

1- إن ملف البحرنة يستوجب وبشكل ملح أن يكون فى صدارة الملفات الوطنية، وهذا يتطلب تضافر جهود كل الجهات المعنية: موزارة العمل، وزارة التربية والتعليم، هيئة تنظيم سوق العمل ومجلس التنمية الاقتصادية ،وغيرها من الوزارات والجهات لتحقيق سياسة البحرنة والتعامل معها على أساس أنها أولوية وطنية مربوطة بتحقيق هدف ربط التعليم باحتياجات سوق العمل ومواكبة هذه الإحتياجات والمتغيرات، مع ضرورة تقييم السياسات التى اتبعت فى هذا المجال طيلة السنوات التى مضت، والوقوف على أوجه الخلل فى مخرجات التعليم، والتخلي عن فكرة أن إلزامية البحرنة قد تنّفر المستثمرين، او تضعف تنافسية البحرين فى جذب الاستثمارات، او التذرع بالحرية الاقتصادية .

2- تلك السياسة أطلقت يد الكثير من المؤسسات والشركات الخاصة فى تشغيل عمالة وافدة، بل إعطائها الأولوية وامتيازات لا يحظى بها العامل المواطن، خاصة فى مواقع العمل العليا، مع وجود نسب متدنية جداً من العمالة الوطنية لإعتبارات تفرض نفسها، مع ملاحظة وجود العديد من الإدارات فى العديد من الشركات يسيطر عليها غير بحرينيين وعوائلهم، وما تم تداوله ونشره من وقائع مريرة فى هذا الشأن كفيل بإعادة النظر وعلى وجه السرعة فى هذه السياسة.

3 – الحرية الاقتصادية وجذب الشركات الأجنبية والمستثمرين إلى البحرين لا يعنى بأي حال من الأحوال التفريط فى أحقية أبناء البحرين فى فرص العمل وضرورة إعطاءها الأولوية الفعلية فى سوق العمل، وجعلها إما عمالة هامشية أو سائبة، وإذا كانت البحرين قد خطت خطوات متقدمة على صعيد حماية حقوق العمال الوافدين، وهو أمر مرحب به دون ريب، فإنه لا بد وبشكل مواز من المحافظة على حقوق العمالة البحرينية، وحق العامل الوطَني.

4 – إن هناك قرارات فاقمت من الإشكاليات التى تواجه سوق العمل، وعمقّت من حجم البطالة فى صفوف المواطنين، ومنها قرار إعطاء العامل الأجنبي الحق فى الانتقال إلى صاحب عمل آخر، وإلغاء نظام الكفيل، ونظام البحرنة الموازى الذى سمح بمبادلة تشغيل البحرينيين بعمالة غير بحرينية نظير رسوم محددة يدفعها صاحب العمل، وتصحيح أوضاع العمالة المخالفة خاصة من خلال التأشيرة المرنة، وكلها القت بضلالها السلبية على تقليل فرص العمل امام العمالة الوطنية، ولكن تأثيراتها السلبية امتدت الى قطاعات من اصحاب الأعمال .

5 – لابد من الإقرار بغياب رؤية واضحة الأهداف والمنطلقات لأي خطط واستراتيجيات طرحت بهدف توفير المزيد من فرص

ملف البحرنة يستوجب وبشكل ملح أن يكون فى صدارة الملفات الوطنية وهذا يتطلب تضافر جهود كل الجهات المعنية

الحرية الاقتصادية وجذب الشركات الأجنبية والمستثمرين إلى البحرين لا يعنى التفريط فى أحقية أبناء البحرين فى فرص العمل وضرورة إعطاءها الأولوية الفعلية فى سوق العمل

العمل أمام البحرينيين، بما فى ذلك معارض التوظيف التى تتبناها وزارة العمل، وكذلك الافتقار إلى منظومة تعليمية فاعلة تتواكب مع متغيرات سوق العمل، وهذه إحدى أهم المشكلات التى تواجه البحرين، كما لابد من الإقرار ثانياً بوجود منتفعين بل و"لوبيات" تستفيد من كل التشوهات وأوجه الخلل القائمة فى سوق العمل لم تطلهم يد القانون.

كما لابد من الإقرار، ثالثاً، بافتقار الكثير من الأرقام إلى الدقة والموثوقية، وحتى التضارب فيما بين أكثر من جهة رسمية، وهذه مسألة لفت اليها المنبر التقدمى فى بيانه الصادر بمناسبة عيد العمال 2022 حيث أشار كمثال إلى وزارة العمل التى أعلنت عن توظيف أكثر من 25 الف عاطل عن العمل فى عام 2021 بينما تتحدث التقارير الاحصائية لهيئة التأمينات الاجتماعية عن إنضمام 6820 مستجد، ما يعنى أن ما يقارب من 18000 مواطن على الأقل، وهم المسجلون فى الوزارة فقدوا أعمالهم فى ذلك العام، أو حصلوا على وظائف جديدة، مما يشير إلى عدم استدامة العامل البحرينى فى عمله، بينما وزارة العمل توهم الرأي العام بأنها خلقت 25000 وظيفة، وفى ذات الوقت تشير البيانات ذاتها إلى 47822 مستجد من غير البحرينيين فى سوق العمل، وهناك عشرات الأمثلة لعدم جديّة وزارة العمل فى التعامل مع ملف العاطلين عن العمل، وهو احد شواهد الحاجة إلى مراجعة شاملة لسياسات العمل.

6 – من المصلحة التأكيد مرّة ومرّات على أن معالجة البطالة فى البحرين تتطلب التشخيص السليم للمشكلة، وجديّة ومؤاءمة مخرجات التعليم، وتبنى حلول جديدة ومبتكرة لمعالجة المشكلة، وتعزيز الثقة فى الشباب البحرينى والعمل بشعار البحرينى الخيار الأول والأفضل للتوظيف، وقبل كل شئ توفر إرادة سياسية حقيقية تترجم على أرض الواقع.

7 – هناك العديد من الأسئلة والتساؤلات المهمة المثارة حول هذا الملف لم تجد من يجيب عليها اجابات صحيحة، لا اجابات مقنعة ولا مبهمة أو مراوغة، من نوعية: لماذا التضارب فى أرقام البطالة وأرقام تشغيل البحرينيين؟، ولماذا يسمح لموظفين غير بحرينيين فى وظائف حكومية لمدد تمتد إلى نحو 30 عاماً؟، لماذا الإصرار على الإبقاء على المستشارين والخبراء غير البحرينيين فى مواقع لا تحتاج إليهم فعلياً، ولماذا لاتحدد مدد توظيفهم فى الأجهزة الحكومية، ولماذا لم تجرى عملية تأهيل وإحلال بحرينيين محلهم؟

8 – على صعيد لجنة التحقيق البرلماني فى ملف البحرنة فى القطاعين العام والخاص التى تشكلت فى 26 فبراير 2020 وأعلن بأنها اجتمعت خلال فترة عملها25 اجتماعاً ولقاءً، والتقت ب " 42 " جهة حكومية ومؤسسات مجتمع مدنى، وقامت بتسع زيارات ميدانية، ووضعت 37 توصية بعد تقرير ضمّ 4287 صفحة، وأوصت باستجواب خمسة وزراء وهم وزراء العمل، وزير التربية والتعليم، وزير التجارة، والوزير المسؤول عن ديوان الخدمة المدنية، لماذا لا يعلم أحد حتى الان عن أي نتائج فعلية لهذا الجهد ..؟!، فقد انتهت مدة البرلمان ولم تنته حالة الغموض التى رافقت عملية التحقيق البرلمانية ومخرجات هذا التحقيق، كل ما نعلمه أنه لم يحدث أي استجواب، ولم تعلن الحكومة عن خطط واستراتيجيات جديدة تعكس تبنيها فعلياً لتوصيات اللجنة ولمقتضيات إعادة الإعتبار للبحرنة فى سوق العمل، وللاحاطة والتذكير فإن البيانات والأرقام التى طلبتها لجنة التحقيق البرلمانية أعلن بعض النواب أنها غير متناغمة.

المؤكد هو أننا أمام ملف لا يجوز السكوت عليه، وعدم التعاطي معه كما يجب، ونستمر نلمّع الموبقات التى يزخر بها، والاستمرار فى طرح أرقام غير موثوقة ولا تصدر عن جهة محايدة الهدف من وراءها تحويل كل الاخفاقات إلى انجازات وشعارات دون احترام لعقول البشر، وظللنا نتداول هذا الملف ونتردد ليس فقط فى إزالة المسالك الوعرة فحسب، بل بإزالة أسبابها، وجعل مصلحة الوطن فوق كل مصلحة، وإلا فسنبقى فى دائرة المراوحة إلى ما لا نهاية، وهذا أمر يجعلنا نسير على الرمال المتحركة وبآمال بالغة الهشاشة، وهذا خطأ فادح بكل معنى الكلمة ..!

لدينا فائض منها .. والبحرين تحتاج للحفاظ على البيئة

مـدن بحــريـة جــديـدة .. لمــن ؟

لماذا يجنح الناس إلى التشكيك أو الرفض المطلق لأغلب ما تطرحه الدولة من مشاريع تنموية حكومية؟ أهو النزوع الدائم والمعتاد والتقليدي للاعتراض؟ أم أن ذلك نابع من احساسهم بأن تلك المشاريع لن تصب في خزينة الدولة أو في صالحهم بل سوف تستنزف الخزينة ولن تنتفع منها إلا قلة قليلة على حساب المصلحة العامة، على سبيل المثال لا الحصر، ألم يرفض الناس مشاريع الخصخصة وخصوصا في قطاعات الصحة والتعليم والإسكان التي فرضت فرضاً فوقياً دون نقاش؟

عصمت الموسوي

ألم يشككوا في صحة الاستكشافات النفطية الكبرى التي رافق اطلاقها الكثير من الزخم والوعود ثم سرعان ما تلاشت، ألا يزال الناس ينتظرون المنّ والسلوى من مشروع ال»فورملا» الباهظ الكلفة على خزينة الدولة بعد سنوات من انطلاقه؟ أليس من المفترض أن تقوم مؤسسات الدولة التشريعية والبلدية وكذلك المجالس المتخصصة بدور الوسيط بين الحكومة وعامة الشعب لتبيان صحة وجدوى تلك المشاريع وإيجابياتها وسلبياتها وتطرح للنقاش العام المستفيض في الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمكتوبة وعبر المؤتمرات الكبرى مفسحة المجال لتداولها شفافية وديموقراطية ورحابة صدر وصولاً إلى حد أدنى من التوافق الحكومي الشعبي، أم أن هذه المؤسسات قاصرة ومغلولة اليد وذات بعد شكلي أو صوري؟

مؤخرا جالت بخاطري تلك الأسئلة حين قرأت تصريحاً جديّاً لوزير التجارة والسياحة، وعلى موقع بوابة البحرين حول البدء بدفن جزء من منطقة فشت العظم لتحويلها إلى أكبر منطقة صناعية بالبحرين، ورغم أن هذه المنصة الإلكترونية رسمية فقد جاءت الردود كلها معترضة على هذا المشروع واصفة اياه بأنه مدمر للبيئة وللحياة البحرية والثروة السمكية التي تتناقص يوما بعد يوم في وقت تسعى فيه المملكة للإلتحاق بركب الدول المتعهدة والملتزمة بحماية المناطق البرية والبحرية، والحفاظ على البيئة وتقليل التصحر والانبعاثات الكربونية وتحقيق الحياد الصفري بحلول عام 2060، وهذه جمعيها مطالب اممية تهدف إلى خلق عالم متوازن بيئياً.

انطلق الحديث عن مشاريع هذه المدن منذ عدة أشهر وقدّمته مملكة البحرين كجزء من مشاريعها المستقبلية

والواقع أن الاعتراض على دفن فشت العظم لم يأت من قبل الناس العاديين بل جاء من اصحاب الاختصاص في البيئة وعلى اختلاف مسمياتهم، اذ غرّد الدكتور والاخصاصي البيئي اسماعيل المدني على موقعه الإلكتروني «إن هذا خبر يهم كل مواطن لعلاقته بالأمن الغذائي، لذا فإنني أطالب جهاز البيئة بنشر مستندات الموافقة على دفن رئة الثروة السمكية وهي فشت العظم، إضافة إلى نشر تقييم الأثر البيئي للمشروع الذي هو شرط البدء في اي مشروع»

.. وقد انطلق الحديث عن مشاريع هذه المدن منذ عدة أشهر وقدّمته مملكة البحرين كجزء من مشاريعها المستقبلية في (إكسبو دبي) مطلع أكتوبر الماضي، في حين تحدث اختصاصيو البيئة وقدموا رؤويتهم للحكومة حول هذا المشروع الخطير «وقالوا ان لدى البحرين اليوم خمس مدن بحرية استثمارية في طور الانشاء أو الإكتمال وأن ثمّة توجيهات قد صدرت عام 2019 لتقنين استخراج الرمال، وأن البحرين لا تحتاج الى بناء مزيد من المدن البحرية، فلديها فائض كبير منها راهناً، بقدر ما تحتاج الى الحفاظ على بيئتها التي دمرّت على مدى 80 عاما، وقد آن الأوان للاشتغال على استدامتها وابقاءها خضراء وزرقاء وتخدم الوطن وتنمي ثرواته الطبيعية على المدى القريب والبعيد.

بصراحة

عشرون عاماً من الحياة النيابية في البحرين

في التاسع من مايو ٢٠٢٢ الماضي تم فض انعقاد اجتماعات مجلس النواب في دورته الخامسة من قبل جلالة الملك، في أكتوبر القادم ٢٠٢٢ يمضي عشرون عاماً على التجربة النيابية في البحرين، قبل الخوض في التجربة وما لها وما عليها، نتساءل هل هذه (السلطة التشريعية) التي ناضل من أجلها شعبنا منذ العشرينيات من القرن الماضي وقدم تضحيات كبيرة من أجل وجودها في البلاد، نتوقف عند الفترة الإيجابية لتجربة المجلس الوطني من ٧ ديسمبر ١٩٧٣ إلى ٢٥ أغسطس ١٩٧٥، كانت فترة قصيرة ولكنها تجربة متقدمة من حيث دستور البلاد وصلاحيات المجلس الوطني، والقوى السياسية المشاركة في المجلس، وتجربة القوى اليسارية في البحرين، جاءت انتخابات المجلس الوطني بإبراز قوة الحركة الوطنية وتحديداً اليسار في البحرين وتأثيره في الشارع وارتباطه بالجماهير، عندما شارك اليسار ممثلاً في جبهة التحرير الوطني البحرانية وحلفائها من الشخصيات الوطنية التقدمية وشكّلوا "كتلة الشعب" التي هزّت أركان المجلس لأنها كانت صادقة مع ناخبيها من حيث الممارسة والتطبيق وفق عملها بالبرنامج الانتخابي الذي على أساسه شاركت في انتخابات المجلس الوطني في ٧ ديسمبر ١٩٧٣.

فاضل الحليبي

شكلت تلك التجربة النيابية انعطافة تاريخية وحدثاً بارزاً في البحرين والخليج العربي قبل أن تجهض ويحل المجلس الوطني في 26 أغسطس من 1975، وتدخل البحرين في نفق مظلم حقبة سياسية ساد فيها قانون أمن الدولة وتدابير محكمة أمن الدولة ربع قرن حتى فبراير من عام 2001 الذي انتقلت فيه البحرين إلى حقبة سياسية جديدة عرفت بميثاق العمل الوطني كانت بدايتها إيجابية تحققت فيها العديد من المكاسب الوطنية، كان المأمول بأن تجرى مراجعة للعديد من القوانين المتصلة بالحقبة السوداء في التاريخ السياسي للبحرين، لكن الذي حدث غير تلك التطلعات والآمال المعقودة على مواصلة التغيير والإصلاح السياسي، والقطار توقف عند محطة عام 2011 وقبله في بعض المحطات مما أدى إلى تراجعات كبيرة عن تجربة عام 2001، وزاد الطين بلّة صدور العديد من القوانين والتشريعات المعيقة من خلال مجلس النواب في أكثر من فصل تشريعي خلال السنوات الماضية، بدلاً من إلغاء القوانين والمراسيم المعيقة لتحولات الديمقراطية الناشئة، وآخر تلك القوانين والتشريعات التي صدرت عن المجلس الأخير وهي مخيبة لآمال المواطنين منها رفع زيادة ضريبة القيمة المضافة إلى 10٪، الموافقة على تعديلات الحكومة بشأن التقاعد ،"وقف الزيادة 3٪ السنوية وزيادة نسبة الاشتراك للمتقاعدين، ورفع سن التقاعد إلى 60 سنة والمرأة تتقاعد عند اكمال 20 سنة عمل بدلاً من 15 سنة عمل سابقاً وغيرها من التعديلات".

هذه التشريعات والقوانين وضعف أداء العديد من أعضاء مجلس النواب، بالإضافة إلى محاباة ومسايرة الحكومة من قبلهم، لهذا أصبح مجلس النواب فاقداً لمصداقيته لدي المواطنين، وتجرى النقاشات في المجالس ووسائل التواصل الاجتماعي عبارة (ما الفايدة من المجلس) أو (ماذا قدم للناس) و(لماذا الاستمرار في وجوده)، وغيرها من الأقوال، والناس على حق فيما يقولون، يريدون إنجازات تثلج الصدور وتسر القلوب، لا قوانين وتشريعات تخدم الحكومة وسياساتها النيوليبرالية التي تحمل الأعباء المالية على المواطنين بفرض المزيد من الضرائب ورفع الرسوم بمعنى من أموال المواطنين تحدد الموازنة المالية السنوية للدولة ،وهم ليسوا شركاء في القرار السياسي، هم فقط يحصلون على الفتات من الدولة ويعانون من تدني في الرواتب ووقف الزيادة السنوية 3٪ للمتقاعدين ، والموجودة حالياً بعد الموافقة من قبل بعض أعضاء مجلس النواب على التعديلات الجديدة للمتقاعدين، مؤقتة لعامين. لهم المعاناة والألم في ظروف معيشية صعبة.

تساؤلاتٌ كثيرةٌ تطرح وتتداول في منصات السوشال ميديا والمجالس وغيرها، هل يرشح النائب أو النواب للمرة الثانية وتحديداً من وقف مع السلطة التنفيذية" الحكومة " وكأن به لسان حالها ووافق على كل القوانين والتشريعات المطروحة من طرفها ، انتخابات مجلس النواب في اكتوبر أو نوفمبر 2022، هناك من النواب الحاليين من يريد أن يرشح مرة ثانية بالرغم بأنهم لم يكن أي فعل لهم في داخل مجلس النواب، وبعضهم أصبح أضحوكة وتندر عند المواطنين، لا يعرف المرء لماذا الإصرار على الترشح لمن خاب الظن بهم، مطلوب وجوه جديدة لديها الخبرة السياسية والاقتصاديه ومعرفة بالقوانين والتشريعات، مهمتها الرقابة والتشريع ومحاسبة السلطة التنفيذية على أدائها وليس الدفاع عنها، لابد من أهمية وجود فصل مابين السلطات الثلاث وكل سلطة تعرف صلاحياتها ومهامها، وكتل نيابية قادرة على تطبيق برامجها الانتخابية مثلما فعلت "كتلة تقدّم."

في الدفاع عن قضايا وهموم المواطنين وكان أداؤها مميزاً داخل مجلس النواب قام أعضاؤها بالواجب الوطني بالتصدي إلى القوانين والمشاريع الحكومية التي تشرع لصالح الحكومة وليس لصالح المواطنين، كانت مهمة صعبة، في ظل اللائحة الداخلية الحالية والصلاحيات التشريعية المعيقة وقلة من النواب وقفوا معهم عندما تطرح المشاريع الحكومية وفي كيفية التصدي لها، وعدم تمريرها لأنها لا تلبي تطلعات المواطنين، أن يكون المرء في مجلس النواب مهمة ليست سهلة وبالأخص في ظل المعوقات (قلة الصلاحيات) والتحديات كبيرة، نضال وطني برلماني في أهم سلطة من السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية)، السلطة التشريعية.

هل تتطور التجربة وتكون نسبة المشاركة للقوى السياسية أوسع، لكي يكون تأثيرها اكثر في المجلس بالأخص عندما تتواجد كتل نيابية وشخصيات سياسية تعمل من أجل الناس، وتعمل من أجل التغيير والإصلاح السياسي والتصدى للفساد والفاسدين وسارقي المال العام .

أسهل شيء بأن تقاطع وأصعب شيء المشاركة والمواجهة من داخل قبة البرلمان، وإفشال المشاريع والقوانين المعادية للمواطنين، هل يرفع العزل السياسي عن شريحة واسعة من المواطنين وتتوسع نسب المشاركة، وتتعدد الكتل النيابية المعارضة في داخل مجلس النواب القادم؟.

مواقف وقضايا راهنة

الديموقراطية بين القناعة والقناع

تخرج علينا فئة تنتقد البرلمان، لقصور أدائه من خلال معظم نوابه، لتعارض البرلمان من الأساس، ووجدت ضالتها في الحرب على البرلمان كحجة في أن البرلمان لا يؤدي واجباته في الدفاع عن الشعب، والنقر القليل جداً الذي يحاول العمل بجدية، لا يسمع صوته ومهمش دوماً، من هنا على هذه الفئة مطالبة بمعرفة أين الخلل؟ أين العيب؟ أهو في نفر دخلوا البرلمان لمصالحهم الذاتية ولايهمهم مصلحة من أوصلهك إلى البرلمان، وأداء ومهمتها الدفاع عن الشعب من خلال نوابه والتي وضع كل آماله عليهم.

قاسم الحلال

أما رؤانا، فإن يمكن أن يكون العيب والخلل في الفئة التي رفضت العملية الإنتخابية تحت حجة أن معظم الذين رشحوا أنفسهم يريدون خدمة مصالحهم الخاصة وإن نفراً قليل جداً الذي ينوي الإصلاح بجدية لا يسمع صوته ولا تنفذ اقتراحاته.

نرد عليهم، لماذا لا تدخلون مع هؤلاء الأقلية الجادة ليكون الصوت صوتاً عالياً، وذلك لتحقيق أمال الشعب الدي يرزح تحت خط الفقر، والذي بعاني من الجشع والنهب والفساد ويكون عرضة للاضطهاد، فإذا لا تريدون الدخول، لأنه لن يسمع لكم صوت، فكيف سيسمع صوتكم وأنتم خارج قبة البرلمان وكيف تحققون شيئا للشعب.

هذه الفئة لا تريد الدخول في البرلمان، لأتها لا تؤمن بالديموقراطية، ولكنها لا تستطيع إعلان هذا الموقف بصورة علنية لكن القوى الوطنية مدركة لذلك تماماً. وبسبب عدم إدراك هذه الفئة للحراك السياسي استطاعت القوى التي تعيق وصول صوت القوى الوطنية إلى قبة البرلمان والدفاع عن حقوق الشعب أن تحشدها لإعاقة وصول القوى الوطنية للبرلمان وذلك في سبيل الدفاع عن الشعب، وفعلاً نجحت عملية الإعاقة بفضل الفئة التي لا تريد للقوى الوطنية الدخول إلى قبة البرلمان.

في بداية السبعينيات من القرن الماضي، عارضت بعض القوى الدينية المشاركة في العملية الانتخابية، وأعلنت بصوت عال لدينا القرآن وهو مصدر تشريعاتنا، لكن سرعان ما تراجع هذا البعض وقرروا خوض العملية الانتخابية، حيث استخدموا (التقية) بعد أن رأوا قوى اليسار تحشد وتستعد للعملية الانتخابية للوصول للبرلمان، رغم أن قوى اليسار تتجنب الصدام معها حفاظاً على النسيج الوطني الواحد، ورغم أن هناك الكثير من القوى الدينية العقلانية المتنورة التي أصبحت تنظر لمعاناة الشعب ومتطلباته.

العمل الفعال لظفر العمال

إنتماؤنا للوطن، يعني الإنتماء للناس أبناء هذة التربة العزيزة والغالية على الجميع، فمهما بلغنا من معارف ومكاسب ورفعة وتطور، نبقى بعيدين عن آمال وألآم شعبنا إذا لم نفعل هذة المكاسب والمعارف، لتكون سنداً ورصيداً قوياً لخلق بيئة صحية عقلاً ومكانةً، لبناء وطن يتعايش فيه الجميع وقادر على إزالة المحن والفساد المستمر، و الجشع الذي يعبئ بصيرة من يفكر في المال على حساب السواد الأكبر من شعبنا.

لذى علينا أن نضع ابعاداً استراتيجية وآلية قوية لنكون سداً منيعاً ضد اهواء العابثين بحقوقنا، واعتقد أننا اليوم قادرون على المضي قدماً، بعد أن بان ونمى حس المرأة والطبقة العاملة والشبيبة، وصارت مكانتنا وصوتنا عالياً، سنبقى أقوى كلما صار قولنا فعلاً، صادقاً ومؤثراً، غير مبالين بالطائفية المقيتة التي تحاول تمزيق أبناء شعبنا.

اليوم يقع على عاتق كوادر الطبقة العاملة تحمّل مسؤولية تثقيف وتوعية الطبقة العاملة بما يستجد من مؤمرات والتفافات وحيل على

ابناء طبقتنا، وحتى تقنياً إن امكنت الظروف، حيث أن بعض الشركات تقوم بعمل دورات لبعض العاملين بإعطائهم دروساً عملية ونظرية، بغية كسبهم في محاولة لغسل الأدمغة، وذلك في خطة لعزل الطبقة العاملة عن كادرها النقابي، وبعد الدورة يعطي الدرجة التي طالما انتظرها عدة سنين.

وأحياناً يتعرض لتخويف مبطن، في محاولة لتكوين نقابة صفراء موالية للشركة، حيث تلجأ الشركة في طعن النقابة الشرعية سراً، واحياناً تتعمد الشركة خلط الأوراق، وتبرز صدامات بين العمال أنفسهم تبعاً لميولهم، ولم يفلح هذا السلوك، رغم وجود انتهازيين ومتملقين من أصحاب المصالح، وبالطبع هؤلاء أقلية، ولا يشكلون ثقلاً.

إن الشركات والمؤسسات تبحث عن العمال الذين يسهل اخافتهم، وبالتالي يسهل تحويلهم كأعين ضد رفاقهم ومثل هؤلاء بسرعة ينكشفون، أيضاً هؤلاء اقلية عبارة عنً (قطرة في بحر)، وسرعان ما يكونون مهمشين ومنبوذين، الأمر الذي يحمل بعضهم على العدول عن هذا السلوك الخسيس.

إن الطبقة العاملة، حينما تصطدم مع إدارة المؤسسات، تدافع عن كرامتها، وتناضل لانتزاع حقوقها المشروعة، فإن سياسة (غسل الأدمغة) لم ولن تفلح، وبالحتم مصيرها الفشل أمام العمل السليم الذي تنتهجه النقابة، وهي أفضل الطرق لإقامة علاقة طيبة وسليمة بين طرفي الانتاج – العمال والشركات، وذلك لسلامة سير العمل لإقامة علاقة تؤسس لانتاج غزير صحي، يعزز لنشوء بيئة نظيفة، ولخلق طاقة اقتصادية لمنفعة الوطن وابنائه البررة.

لم يسقط التابوت

حسين الربيع

في صباح يوم الأربعاء الموافق ١١ أيار/مايو ٢٠٢٢ بُث خبر استشهاد المراسلة الميدانية الفلسطينية شيرين أبو عاقلة إثر طلقة مباشرة في الرأس من أحد قناصي قوات الإحتلال. كان الخبر صادماً لنا، لجيلنا الذي تربى وكبر على سماع المراسلة شيرين منذ مايقرب العقدين من الزمن وترسخت في ذهنه جملتها الشهيرة: «كانت معكم شيرين أبو عاقلة، الجزيرة، فلسطين المحتلة" رصاصة واحدة نالت من ذكريات جيل تربى على حبّ فلسطين ومتابعة أخبار مايحدث في الديار المحتلة أولاً بأول وبشكل يومي، ولم تكن شيرين مجرد ناقلة للخبر إنما كانت إنسانيةً تعيش مع المنكوبين مآسيهم.

رَوَت إحدى السيدات من جنين، وهي امرأة كبيرة في السن كانت تبكي متأثرة باستشهاد شيرين، كيف أن شيرين، وفي ذروة اجتياح قوات الإحتلال لجنين أيام انتفاضة الأقصى وقفت معها وساعدتها في استخراج أبناءها من أنقاض المباني المهدمة جراء القصف العنيف، وتقول: حتى أن شيرين قد اتسخت بالكامل وتمزقت بعض أطراف ثيابها وأنها أعطت شيرين ثياباً من عندها لأن ثياب شيرين لم تعد صالحة. وأنهت حديثها وهي تبكي، زغردت وقالت:"قولوا الله قولوا الله، هَي شيرين مش حَيّ الله". أن تكون في قلب الحدث لا يعني أنك تواجه المخاطر فقط، بل أنك الى جانب ذلك معنيّ أيضاً بالحالات الإنسانية التي قد تحدث أمامك.

شيرين ذلك الصوت الذي ألِفناه وهو ينقل لنا أحداث فلسطين واعتداءات المحتلين منذ كنّا صغاراً، في المساءات التي تحتدم فيها الأحداث نجلس مجتمعين أمام شاشة التلفاز نشاهد التغطية الإخبارية أولاً، ثم نشاهد برامج «سبيستون» التي تعلمنا من بعض برامجها أن للفلسطينيين حقاً مسلوباً، وحين نكون مسترسلين في اللعب مجرد أن نسمع صوت شيرين نوقف اللعب فتشرئِبّ أعناقتنا نحو التلفاز لنعرف ما الذي حدث الآن هناك، أما الفتيات فلهن أحاديث أخرى، فيبدأ تهامسهن ما أن تظهر شيرين، يبدو أنها قد نحفت، يبدو أنها لم تنم جيداً، يبدوا أن وزنها قد زاد قليلاً... الخ. مازلت أتذكر جيداً كيف كانت شيرين تغطي أحداث انتفاضة الأقصى من مخيم جنين واجتياح نابلس بكل شجاعة، لتفضح جرائم الإحتلال وتنقل جزءاً من معاناة الشعب الفلسطيني وتوصل صوته للعالم، الصوت الذي يحاول العالم كلّه إسكاته والقضاء عليه، لهذا كانت بحسّها الإنساني المرهف دائماً سبّاقة، دائماً في قلب الحدث، دائماً في الخطوط الأمامية للمواجهات.

كان يوم الجمعة الموافق 13 أيار/ مايو2022 الذي تلى استشهاد شيرين، الذي تقَرَر أن يكون فيه التشييع الرسمي لها، يوماً ملحمياً تاريخياً حافلاً بالمواجهات البطولية التي سطرها الفلسطينيون متوحدين، مسيحيين ومسلمين ومن مختلف المذاهب والتيارات، كانت شيرين هذه المرة هي صانعة الحدث والعالم كله ينقل مايجري، إنه يوم شيرين أبو عاقلة بكل ماتحمل الكلمة من معنى. كان مقرراً أن تخرج الجنازة من المستشفى سيراً على الأقدام الى الكنيسة مروراً بأحياء القدس القديمة وصولاً إلى المقبرة، مجلّلةً بأعلام فلسطين و أكاليل الزيتون وفي تابوتٍ بهيّ، إلا أن قوات الإحتلال الغاشمة هجمت على المشيعين واعتدت عليهم بشكل سافر غير إنساني في محاولة يائسة منها للنّيل من عزيمة المشيعين وإسقاط التابوت منهم، وحدث هذا أمام أنظار العالم حتى ظن أكثر المتفائلين أن التابوت البهيّ سيسقط لامحالة، ولكن ببسالة وإباء الفلسطينيين لم يسقط التابوت، ظل محمولاً على الأكتاف والأعناق رغم محاولة قوات الإحتلال إسقاطه بكل ما أوتيت من قوة، ولكن التابوت لم يسقط، و رغم سقوط الأجساد لم تسقط الفكرة، لم تسقط القضية، فلسطين لن تسقط أبداً...

بعد انتهاء القداس في كنيسة الروم الكاثوليك في القدس انطلق المشيعون من جميع المذاهب على وقع قرع أجراس الكنائس بالآلاف في تشييع مهيب جداً غصّت به أزقّة القدس وضواحيها رغم محاولات الإحتلال البائسة قطع الطريق عليهم حتى ظننا لوهلة أن القدس قد تحررت.

كَتبَت فِي آخر تغريدة لها وهي متوجهة لتغطية مايحدث في جنين: «أنا ذاهبة الى جنين، سنوافيكم بآخر الأحداث والمستجدات من هناك». للتو انتهت التغطية يا شيرين، وانتهت بفضيحة مدوية ووصمة سوداء أخرى لم تبقي نقطة بيضاء في صفحة الإحتلال. عندما يقتل الإحتلال الصحفيين عمداً ويختار المتميزين منهم فهو لايكترث بمقاتل أو مدني أو صحفي أو شجرةٍ أو حجرة. جسد شيرين المسجى الذي احتضنته الأرض لحظة سقوطه بقرب شجرةٍ أرى أن أغصانها مالت قليلاً لتمد أوراقها نحو شيرين حانيةً متأسفة، إنما هو اتحاد الأقانيم الثلاثة الإنسان، الجسد، الطبيعة، وكلها تلعن الغاصب المحتل. ولا عزاء لمرضى عقدة النقص الذين يحاولون بث سمومهم التي تأتي لتملأ الجو من نتانة ريح أنفاسهم وأفكارهم الماضوية المظلمة، رحم الله الشهيدة شيرين على أي دينٍ أو مذهبٍ أو فكرةٍ كانت.

«اخترت الصحافة كي أكون قريبة من الناس، ليس سهلاً أن أغيّر الواقع، لكن على لأقل كنتُ قادرةً على إيصال ذلك الصوت إلى العالم». شيرين تفتح لنا الباب جميعاً ومع وسائل التواصل والأجهزة الحديثة لإيصال صوت كل إنسان مظلوم في أي مكان كان.

خالص العزاء لأهلِ شيرين وأصدقائها، وأسرتها العالمية، لروحها الطمأنينة والسلام.

(قف)

الغرب المسؤول الأول عن الحرب في أوكرانيا

فهد المضحكي

تعدّ الحرب في أوكرانيا أخطر صراع دولي منذ أزمة الصواريخ الكوبية في سنة ١٩٦٢. وفهم أسبابها الجذرية أمر لابد منه للحيلولة دون تفاقمها ولإيجاد سبيل لإنهائها، بدلا من ذلك التفاقم. لا شكّ في أن بوتين بدأ الحرب، وأنه المسؤول عن كيفية شنها، أما سبب فعله ذلك فقضية أخرى. ووجهة النظر السائدة في الغرب هي أنه معتد غير عقلاني، من خارج العصر، مصمم على إقامة روسيا عظمى على غرار الاتحاد السوفييتي السابق. ولذلك، فهو يتحمل وحده مسؤولية الأزمة الأوكرانية كاملة، بحسب موقع «أوان».

يرى المفكر الأكاديمي الأمريكي جون ميرشايمر أن الغرب ولاسيما أمريكا،هو المسؤول الأول عن الأزمة التي بدأت في فبراير/شباط من عام 2014 وتحولت الآن إلى حرب لا تهدد بتدمير أوكرانيا فحسب، بل تنطوي على إمكان أن تتصاعد إلى حرب نووية بين روسيا و«الناتو».

بدأت المشكلة الأوكرانية فعليًا في قمة «الناتو» في بوخارست في أبريل/نيسان سنة 2008، حين دفعت إدارة جورج دبليو بوش الحلف لإعلان أن أوكرانيا وجورجيا «ستصبحان عضوين». وردّ القادة الروس في الحال بغضب حانق، فوصفوا هذا القرار بأنه تهديد وجودي لروسيا، وتعهدوا بإحباطه. ووفقا لصحفي روسي، فإن بوتين «استشاط غضبا» وحذر من أنه «إذا ما انضمّت أوكرانيا إلى الناتو، فسوف تفعل ذلك من دون القرم والمناطق الشرقية. وسوف تنهار فحسب».

لكن أمريكا تجاهلت خط موسكو الأحمر، ومضت قدما في جعل أوكرانيا حصناً غربيا على حدود روسيا، وتضمنت هذه الاستراتيجية عنصرين آخرين: إدناء أوكرانيا من الاتحاد الأوروبي وجعلها ديمقراطية موالية لأمريكا. أدت هذه الجهود في النهاية إلى اندلاع أعمال عدائية في فبراير/ شباط سنة 2014، بعد إنتفاضة (مدعومة من قبل أمريكا) دفعت رئيس أوكرانيا الموالي لروسيا، فيكتور يانوكوفيتش، إلى الفرار من البلاد. ورداً على ذلك، استولت روسيا على شبه جزيرة القرم من أوكرانيا.

أتت المواجهة الرئيسية الثانية في ديسمبر/كانون الأول سنة 2021، وأدت بشكل مباشر إلى الحرب الحالية. وكان السبب الأساس أن أوكرانيا كانت في طريقها لتغدو عضوا فعليا في «الناتو». بدأت العملية في ديسمبر سنة 2017، عندما قررت إدارة ترامب بيع أسلحة دفاعية لكييف. لكن ما يعتبر» دفاعيا» ليس واضحا تماما، ولا شك أن هذه الأسلحة بدت هجومية بالنسبة لموسكو وحلفائها في دنباس. وانخرطت دول»الناتو» الأخرى في الأمر، فشحنت الأسلحة إلى أوكرانيا، ودرّبت قواتها المسلحة، وصار يمكن لها بالمشاركة في تدريبات جوية وبحرية مشتركة. وفي يوليو/تموز سنة 2021، استضافت أوكرانيا وأمريكا تدريباً بحرياً مشتركاً واسع النطاق في البحر الأسود اشتمل على قوات بحرية من 32 دولة.

وكادت «عملية نسيم البحر» أن تدفع روسيا إلى إطلاق النار على مدمرة بحرية بريطانية دخلت عمداً ما تعتبره روسيا مياهها الإقليمية. واصلت الصلات الأوكرانية – الأمريكية النمو في ظل إدارة بايدن. وانعكس هذا الالتزام في وثيقة مهمة، هي «ميثاق الشراكة الاستراتيجية الأمريكية الأوكرانية»– وكان الهدف «التأكيد على التزام أوكرانيا بتنفيذ الإصلاحات العميقة والشاملة الضرورية للإندماج الكامل في المؤسسات الأوروبية والأورو– أطلسية». وتعتمد الوثيقة صراحة على «الإلتزامات التي تعهدّ بها الرئيسان زيلينسكي وبايدن لتعزيز الشراكة الاستراتيجية بين أوكرانيا وأمريكا»، وتؤكد أن البلدين سوف يسترشدان بـ» إعلان قمة بوخارست سنة 2008».

لاغرابة في أن موسكو وجدت هذا الوضع المتنامي أمراً لا يطاق، وبدأت تحشد جيشها على الحدود الأوكرانية في الربيع المنصرم، لكن ذلك لم يجدِ نفعاً، إذ واصلت إدارة بايدن اقترابها من أوكرانيا، ما دفع روسيا إلى التعجيل بمواجهة دبلوماسية فعلية في ديسمبر/كانون الأول. وكما قال سيرجي لافروف، وزير خارجية روسيا: «لقد وصلنا إلى نقطة غلياننا». وطالبت روسيا بضمانة خطية بأن أوكرانيا لن تصبح جزءا من الناتو أبداً، وبأن يزيل الحلف الأصول العسكرية التي كان قد نشرها في أوروبـا الشرقية منذ سنة 1997. وفشلت المفاوضات اللاحقة، كما أوضح بلينكن، وزير خارجية أمريكا: «لا تغيير. لن يكون هناك تغيير»، وبعد شهر إجتاحت روسيا أوكرانيا بغية القضاء على تهديدات «الناتو».

يتعارض هذا التفسير للأحداث مع الأزمة السائدة في الغرب التي تصور توسع» الناتو» على أنه غير ذي صلة بالأزمة الأوكرانية، وتلقي باللوم بدلا من ذلك على أهداف روسيا التوسعية. وبحسب وثيقة» الناتو» أرسلت مؤخراً إلى القادة الروس، فإن» الناتو تحالف دفاعي ولا يشكل أي تهديد لروسيا». وتتعارض الأدلة المتاحة مع هذه المزاعم. فالقضية المطروحة لاتتعلق، بداية، بما يزعمه القادة الغربيون عن أهداف» الناتو» أو نواياه؛ بل تتعلق بكيف ترى موسكو أفعال «الناتو». من المؤكد أن بوتين يعلم أن تكاليف إخضاع مساحة واسعة من الأراضي في أوروبا الشرقية وإحتلالها ستكون باهظة بالنسبة لروسيا. لم يتفوه صناع السياسة الروس بأي شيء عن إحتلال اراض جديدة لإعادة خلق الاتحاد السوفييتي أو بناء روسيا عظمى. الأحرى، أن القادة الروس قالوا مراراً وتكراراً، منذ قمة بوخارست سنة 2008، إنهم ينظرون إلى الناتو كتهديد وجـودي تجب الحيلولة دونـه. وكما اشار لافروف: «إن المفتاح لكل شيء هو ضمان عدم توسع الناتو شرقاً».

من الجدير بالذكر أن القادة الغربيين نادرا ما وصفوا روسيا بأنها تهديد عسكري لأوروبا قبل عام 2014. وكما أشار السفير الأمريكي السابق لدى موسكو مايكل مكفول، فإن إستيلاء روسيا على شبه جزيرة القرم لم يكن مخططا له مسبقا؛ بل كان خطوة بنيت ساعتها ردا على الإنقلاب الذي أطاح بالزعيم الأوكراني الموالي لروسيا. وحين بدأت الأزمة، لم يعترف صناع السياسة الأميركيون والأوروبيون بأنهم كانوا قد استفزوا روسيا بمحاولتهم ضم أوكرانيا للغرب. وأعلنوا أن المصدر الحقيقي للمشكلة هو نزعة روسيا الانتقامية ورغبتها في السيطرة على أوكرانيا.

لا ينبغي أن يكون هذا الرأي حول أسباب الصراع محل خلاف، لأن كثيرا من خبراء السياسة الخارجية الأميركيين البارزين كانوا قد حـذروا من توسع «الناتو» منذ أواخر تسعينيات القرن العشرين. وقد اعترف وزير الدفاع الأميركي وقت انعقاد قمة بوخارست، روبرت غيتس، بأن «محاولة ضم جورجيا وأوكرانيا إلى الناتو فيها تعد بالفعل». وفي تلك القمة، عارض كل من المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، والرئيس الفرنسي، نيكولا ساركوزي، المضي قدما في ضم أوكرانيا إلى»الناتو» لأنهما كانا يخشيان أن يثير ذلك غضب روسيا.

الخلاصة، أن الوضع خطير للغاية، والسياسة الغربية تفاقم هذه المخاطر. وبالنسبة لقادة روسيا، فإن ما يحدث في أوكرانيا لا علاقة له بإحباط طموحاتهم؛ بل يتعلق بالتعامل مع ما يعتبرونه تهديداً مباشراً لمستقبل روسيا. ولكن لا ينبغي أن نسيء تقدير المدى الذي يمكن أن تبلغه قسوة القوى العظمى حين تعتقد أنها في ضائقة. ومع ذلك، فإن أمريكا وحلفاؤها يزيدون الأوار، على أمل إلحاق هزيمة مذلة ببوتين وربما التسبب بإزالته، فهم يزيدون من دعم أوكرانيا في حين يفرضون العقوبات الاقتصادية الشديدة على روسيا، وهي خطوة يراها بوتين على أنها» شبيهة بإعلان حرب».

قد تكون لدى أميركا وحلفائها القدرة على الحيلولة دون إنتصار روسي في أوكرانيا، لكن البلاد ستتضرر بشدة، هذا إن لم تتقطع أوصالها. هناك خطر جدي بأن يتجاوز التصعيد أوكرانيا، ناهيك عن خطر الحرب النووية. وإذا لم يكتف الغرب بإحباط موسكو في ساحات القتال في أوكرانيا، بل ألحق أضرارا جسيمة باقتصاد روسيا، فإنه في الواقع يدفع بقوة عظمى إلى حافة الهاوية. وقد يتجه بوتن حينها إلى الأسلحة النووية.عند هذا الحد، من المستحيل معرفة الشروط التى سيتم على أساسها تسوية هذا الصراع. لكننا إذا لم نفهم سببه العميق، فلن نتمكن من إنهائه قبل أن تنهار أوكرانيا وينتهي الأمر بحلف» الناتو» إلى حرب مع روسيا.

في ذكرى التاسع من مايو – يوم النصر الكبير على الفاشية

عبد الجليل النعيمي

التاسع من مايو/أيار من كل عام يوم ربيعي جميل، حيث تكون موسكو قد ودعت آخر آثار الثلوج، ويكون الجو صحوا وبدأت الطبيعة ترتدي حلة قشيبة من اخضرار الشجر وتفَتُّح براعم الورود والزهور بألوانها المختلفة. الطبيعة قبلَ الناس هيأت نفسها ودَعَتهم ليحاكوها للاحتفال بيوم النصر العظيم الذي حرر فيه الجيش السوفياتي الأحمر البشرية جمعاء من الفاشية البغيضة ودحَرها في عقر دارها – برلين. ومنذ الصباح الباكر ترى الأجيال الحاضرة من الأمهات وأطفالهن بأحلى الملابس الفلكلورية. أما قدماء المحاربين، رجالا ونساءً، الذين ينسون في هذا اليوم تقدُّمَ العمر، فتخُفُّ بهم الأرجل سعيا إلى الساحة الحمراء، مليئين زهوا وفخرا بكثرة النياشين والأوسمة التي عُلقت على صدورهم، والتي أحرزوها عندما كانوا يصنعون مجد هذا اليوم.

خلال فترة إقامتي الطويلة في الاتحاد السوفياتي مرة واحدة فقط حالفني الحظ أن أكون على مدرج الساحة الحمراء في موسكو لمشاهدة عروض احتفالات يوم النصر. هناك شاهدت رواد الحرب وأبطال الاتحاد السوفياتي وأبطال العمل من علماء وعمال، والضيوف الأجانب من دبلوماسيين ومدعوين يتوافدون ليحتلوا مقاعدهم في مدرج المنصة. ثم يدخل القادة ليعتلوا سقف ضريح قائد ثورة أكتوبر الإشتراكية العظمى – فلاديمير إليتش لينين، قبالة الساحة الحمراء استعدادا للعرض. جدران المباني المحيطة بالساحة الحمراء مزدانة برايات النصر وشعارات الإشتراكية على خلفية من اللون الأحمر ومرصعة بالمطرقة والمنجل. أما أرض الساحة الحمراء فكعروس خضبتها الخطوط الإرشادية التي رسمت ليهتدي بها الجنود والآليات والأفواج المختلفة أثناء العرض العسكري والعروض الأخرى.

كل شيئ جاهز. بعد أخذ الإذن وإصدار الأمر ببدء الاحتفالات يحيِّي وزير الدفاع جميع ممثلي قطعات الجيش المشاركة، حيث عادة ما يشارك في العروض آلاف الجنود ومئات المركبات والآليات وتحلق عشرات الطائرات في سماء الساحة الحمراء. تمر بعدها أفواج ممثلي مختلف قطاعات العمل والإنتاج والثقافة والرياضة والفنون ومختلف الإبداع الشعبي، مستعرضين أفضل منجزاتهم.

كادت أن تكون تلك الأعياد إحياءً لذكريات حرب عالمية مضت، ومضى معها الطاعون الفاشي إلى غير رجعة. أما في هذا العام فقد تعيَّن على أحفاد الجيش الأحمر أن يقاتلوا أحفادِ البنديريين – النازيين الجدد وفرق الأزوف التي تُحضِّر من جديد لحرب إبادة ضد البشرية جمعاء، تنطلق من المختبرات الجرثومية–الوبائية في أوكرانيا، كما في عدد من بلدان الناتو. هذه القوى مدعومة الآن، للأسف، من قبل قوى عالمية قاتلت بلدانها ضد الفاشية والنازية، حيث أن شعوبها كادت أن تقع فريسة الوحش الفاشي – النازي. مع احتفالات هذا العام يتوجب استذكار تاريخ ما بعد الحرب من جديد.

بالنسبة للدول الإمبريالية كانت هزيمة ألمانيا النازية وتوابعها بمثابة نهاية فترة وجود التحالف المناهض لهتلر. في 17 مارس 1948، أبرمت خمس دول من أوروبا الغربية – بلجيكا وبريطانيا ولوكسمبورغ وهولندا وفرنسا – ما يسمى بميثاق بروكسل، والذي كان نصه الأساسي هو إنشاء «دفاع جماعي عن النفس». وفي 4 أبريل 1949، أبرمت 12 دولة، من بينها الخمس المذكورة، والولايات المتحدة وكندا، وكذلك الدنمارك وإيطاليا (حلفاء الرايخ الثالث) والنرويج والبرتغال وأيسلندا، معاهدة شمال الأطلسي. وبإيجاز صاغ الأمين العام الأول لحلف الناتو، إسماي هاستينغز، الغرض من وجود المنظمة، بما معناه: «إبقاء الاتحاد السوفيتي بعيدًا، والأمريكيين في الداخل، والألمان في وضع التبعية».

لكنه، وبالذات في ذكرى يوم النصر – 9 مايو من العام 1955، تم قبول ألمانيا الغربية في الناتو، أي أنه انتهاكا لجميع الاتفاقات السابقة للدول الأعضاء في التحالف المناهض لهتلر، جعلوا الدولة التي بدأت الحرب العالمية الثانية عضوًا في الكتلة العسكرية. والحقيقة أنه حتى قبل ضم ألمانيا الغربية كان الزعيم السوفياتي جوزيف ستالين محقا عندما سخر من إعادة تكرار التأكيد على «الطبيعة السلمية» لحلف الناتو بعد انضمام تركيا إليه عام 1952.

إذن، فلم يكن حلف الناتو سوى خلطة ضمت الدول الإمبريالية التي حاربت الفاشية والنازية، والدول الإمبريالية مصدر العدوان الفاشي – النازي، بدون الإتحاد السوفياتي وضد الاتحاد السوفياتي، الذي حسم الحرب، مخلِّصاً البشرية من الطاعون الفاشي النازي للقرن العشرين. أما في بداية القرن الحادي والعشرين، وبدءا من عام 2004 جرى «التوسيع الخامس للناتو» بضم ليس دول أوروبا الشرقية الإشتراكية السابقة فقط، بل وليتوانيا ولاتفيا وإستونيا من جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابقة.

أدركت روسيا بعد هذا أن الهدف أصبح تطويقها وتفتيتها، إن لم يكن تدميرها. وفي خطابه الشهير عام 2007 في ميونيخ قال فلاديمير بوتين : «لدينا حق عادل في أن نسأل بصراحة: ضد من هذا التوسع؟ وماذا حدث للتأكيدات التي قدمها الشركاء الغربيون بعد حل حلف وارسو؟ أين هذه التصريحات الآن؟».

وعليه، فلا غرابة أن نجد اليوم حلف شمال الأطلسي (الناتو) بقيادة الولايات المتحدة الأميركية السند القوي الداعم للنازية الجديدة للقرن الحادي والعشرين في محاولة للإبقاء على عالم القطب الواحد الذي استنفذ موضوعيا كل إمكانيات بقائه. ومن الطبيعي أن تتمسك البشرية بحلمها العادل بعالم بلا وظلم ولا عدوان، تظلله رايات السلام والأمن والعدالة والتعاون من أجل التنمية.

نظام دولي أعور

جلال إبراهيم

في اللغة فإن الأعور هو الذاهبُ إحدى العينين. وأصلُ الكلمة يدل على مرض في إحدى عيني الإنسان. أما في السياسة فالأعور هو من ينظر إلى الواقَع من زاوية نظرٍ واحدة، هي زاوية مصالحه بعيداً عن العدالة والحق. وإذا كان الأعور في خَلقته لا ذنب له، وقد يكون على خُلُق وأدب رفيع، فإن الأعور في عالم السياسة بالضرورة متجرد من العدالةً والقيَم الإنسانية النبيلة.

النظام الدولي قبل الأزمة الأوكرانية واجتياح روسيا لها كان واسع العور، فمفاهيم حقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية في هذا المضمار تتباين في تطبيقها ما بين البلدان والدول التي تشهد حروبًا وصراعات وأزمات مختلفة. فما يتم اعتباره في دولة ما جرائم حرب وهتك لكرامة الإنسان وتجاوز لاتفاقيات حقوق الإنسان، يُعد غير ذلك في دولة أخرى، وذلك بإلباسه أقنعه أخرى بائسه من أجل إخفاء الحقائق وتحقيق المصالح. أما بعد هذه الأزمة فالعور أصبح أكثر اتساعاً ووقاحةً.

فماذا يعني أن يُجاهر الإعلام الغربي باستغرابه من إندلاع حرب في أوروبا، وأن ينتج عنها الدمار وتشريد الملايين؟ فهذا يجب أن يحدث في مناطق متخلفة كما يرون؛ آسيا أو إفريقيا أو أمريكا الجنوبية. أما أوروبا فدورها أن تُصدّر الديمقراطية والتكنولوجيا والعلوم والسلام والحضارة. لكن التاريخ والحاضر يكشفان لنا زيف هذه الأطروحة الغربيّة وهشاشتها في جانب واسع منها، فالحربان (العالميتان)، الأولى والثانية، هما في حقيقتهما حربان أوروبيتان في مجمل أسبابهما وتفاصيلهما.

منظمة هيومن رايتس ووتش اتهمت صراحةً أوكرانيا بأنها مارست سياسة التمييز ضد الأجانب الفارين من الحرب على أراضيها، داعية الحكومات الأوروبية إلى الترحيب باللاجئين القادمين إليها دون تفرقة. ففي خضم هذه الحرب وردت تقارير عن تعرض أشخاص من جنسيات مختلفة، من غير الأوكرانيين، إلى التمييز، وانتشرت تدوينات ومقاطع مصورة لعرب وأفارقة وهنود وغيرهم منعوا من العبور وقيل لهم إن الأولوية للأوكرانيين.

وقد أشار المفكر العراقي هادي العلوي قبل ثلاثة عقود إلى أن العنصرية من اللوازم الأساسية للثقافة الغربية، لا الثقافة الحديثة التي هي إرث بشري مشترك، وإن اكتملت صورتها الناجزة في الحضارة الغربية الحديثة. ففي 25 مايو 2020 قُتل جورج فلويد بوحشية ودم بارد على يد شرطي أمريكي أبيض. وما هذا إلا مثال واحد من مئات الأمثلة على الممارسة العنصرية اتجاه السود في العواصم الأوروبية.

إن موقف الأمريكان ودول الغرب الأوروبي اتجاه الحروب والنزاعات المسلحة وقضايا حقوق الإنسان متلونة وتكيل بمكيالين، وليست على مسافة واحدة من الجميع. في إحدى تغريداته يقول الرئيس الأمريكي جو بايدن: "يعلمنا القرآن الكريم "فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره" ولهذا ستستمر الولايات المتحدة في الدفاع عن حقوق الإنسان في كل مكان، بما في ذلك حقوق الإيغور في الصين، والروهينغا في بورما، والمجتمعات المسلمة الأخرى في مختلف أنحاء العالم».

إن مثل هذه التغريدة أو الخطاب يثير التهكم والسخرية، لأنه يتناقض بصورة فاقعة مع الواقع السياسي والحقوقي الذي تعمل عليه أمريكا والغرب، حيثُ تحقيق المصالح الأنانية على حساب حقوق الشعوب، ولو تطلب الأمر اندلاع الصراعات والحروب وتدمير الأوطان.

إيلون ماسك يعثر على كارل ماركس

جوزيف كيشور *

قد يأتي من باب المفاجأة بالنسبة لمتابعي المشهد السياسي الأمريكي أن يعلموا أن رائد الأعمال الشهير وسابع أغنى رجل في العالم إيلون ماسك (Elon Musk) هو أيضاً تلميذ نبيه للنظرية الماركسية. فما ظهر أخيراً هو أن ماسك قد أخذ على نفسه وهو في غمرة انشغاله بإدارة شركاته المتعددة مثل تيسلا (Tesla) وسبيس إكس (SpaceX) وغيرها أن يخصص وقتاً لقراءة ودراسة كتاب ماركس العظيم ذو الثلاثة أجزاء "رأس المال" (١٨٦٧). وفي تغريدة تتصدرها صورة لكارل ماركس نشرها قبل يومين من كتابة هذا المقال قال ماسك ملخصًا بلغة عامية ما فهمه من دراسته لعمل ماركس: "رأس المال" بإيجاز: أعطني ذلك مجانًا.

ترجمة: محمد المبارك

وبالفعل كم هو بارع ونافذ البصيرة هذا التلخيص! فلنا أن نغفر لماسك استخدامه لهذا التعبير العامي ذلك لأنه أوجز حقيقة مهمة وهي أن الفوائد التي تراكمها الطبقة الرأسمالية تأتي أساسًا من حقيقة أن القيمة التي ينتجها العمال تزيد على ما يحصلون عليه من أجور مقابل عملهم، أي أن تلك الفوائد هي ناتج "العمل الغير مدفوع الأجر". ويستوجب هذا شرحًا بتفصيل أكبر فيما يلي من سطور.

كرس ماركس كتاب رأس المال لتحليل القوانين الأساسية للرأسمالية والنظام الاجتماعي والاقتصادي الذي ما زال سائدًا حتى اليوم. وقد بدأ بحثه بدارسة الوحدة الأساسية للنظام الرأسمالي وهي السلعة. ثم رأى أن هناك مخزوناً من قوة العمل الحية توجد تحت تصرف المجتمع، وهي طاقة قادرة على إنتاج كل متطلبات الحياة الإنسانية، من الطعام إلى المأوى إلى المواصلات وحتى تقنيات الاتصال. وكنتيجة لتقسيم العمل بين الفاعلين المتعددين في العملية الإنتاجية فإن ناتج تلك العملية يتخذ شكل السلعة، فالسيارات والتلفونات والأطعمة والبيوت هي سلع يتم إنتاجها من قبل أفراد مختلفون وصناعات متعددة وكلها تباع وتُشترى في السوق.

ويمكن إرجـاع الطرق المتشعبة والمعقدة التي تعمل بها الرأسمالية الحديثة إلى قانون واحد كان ماركس أول من قام بشرحه بشكل مستفيض وهو: قانون قيمة العمل، الذي يقول بأن القيمة الاقتصادية للسلع تتحدد بكمية ما تم صرفه في إنتاجها من العمل الإنساني الضروري اجتماعيا. فعلي سبيل المثال فإن سيارة من إنتاج شركة تيسلا تفوق في قيمتها قيمة غالون من الحليب لأن كمية العمل الذي ذهب في سبيل إنتاجها يفوق ما ذهب في إنتاج الحليب. ويتم تبادل السلع في الأسواق مع سلع أخرى تحمل نفس القيمة (أو بتعبير آخر بقيمة مالية مساوية).

لكن من أين تأتي اللامساواة في المجتمع إذا كان تبادل السلع يتم بحسب كمية العمل المطلوب في إنتاجها؟ ولماذا تحتكر طبقة قليلة كميات هائلة من الثروات بينما يعاني المنهمكون بالعمل الفعلي – وهم العمال – من الفقر والفاقة؟

تبلغ ثروة إيلون ماسك ما يقارب السبعين مليار دولار، أي ما يعادل مليوني ضعفاً لمتوسط الدخل السنوي للفرد في الولايات المتحدة والبالغ 31 ألف دولار سنوياً. فهل يعني هذا أن ماسك الذي لم يقض حتى كتابة هذا المقال سوى 49 عاماً قصيرة على وجه الأرض قد قام بعمل يعادل مجهود مليوني عامل لمدة عام كامل؟ حتى لو عرفنا بأنه يعمل لساعات طويلة يوميًا فإن هذه المقارنة مستحيلة.

إن مصدر اللامساواة كما وضح ماركس يكمن في الطبيعة الفريدة لإحدى السلع التي تباع وتشترى في السوق وهي: قوة العمل. ففي اللغة اليومية يمكن أن تسمع من يقول لك بأن العامل أو العاملة يبيعان عملهما إلى الرأسمالي. ولكن ذلك ليس صحيحًا تمامًا، فما يبيعه العامل إلى الرأسمالي ليس هو العمل نفسه بل سلعة قوة العمل، أي قدرته على العمل، وهي التي تدخل في قيمة وعملية إنتاج كل السلع الأخرى.

يشتري سلعة قوة العمل من العمال من يملك وسائل الإنتاج (مثل مصانع سيارات تيسلا في ولاية كاليفورنيا التي يمتلكها ماسك). أي أنه يشتري قدرة هؤلاء العمال على العمل في مقابل أجر أو راتب. ومثل أية سلعة أخرى فإن قيمة هذه السلعة وهي "قوة العمل" تتحدد بحسب كمية العمل الذي يدخل إنتاجها، وهي هنا تساوي كمية المواد اللازمة لبقاء وإعادة إنتاج العامل نفسه. وكلما قل ما هو مطلوب لبقاء وإعادة إنتاج الجيل التالي من العمال بالأجر، زاد فقر العامل وقلت كلفة قوة العمل التي يملكها.

عندما يشتري الرأسمالي هذه السلعة وهي قوة العمل فإنه يملك الحق في استهلاكها. ولكن مربط الفرس يكمن في أن كمية العمل التي يقوم بها العامل على خط الإنتاج أو الموظف في المتجر أو الفلاح في الحقول تفوق قيمة العمل التي يقدمها للرأسمالي والتي تقاس بما يحصل عليه من أجر. وبعبارة أخـرى فإن العامل يكدح بمقدارٍ أكبر من السلع الضرورية لإبقائه على قيد الحياة. هناك إذاً زيادة أو فائض قيمة تتمثل في الفرق بين القيمة التي ينتجها العامل وبين الكلفة الضرورية لمعيشته. وكلما زاد مستوى الاستغلال (أي كلما زادت كمية الإنتاجية التي يستطيع الرأسمالي استخلاصها من العامل) فإن تكلفة قوة العمل تقل بالنسبة للرأسمالي (أي يقل ما يتوجب

عليه دفعه للعامل أو العاملة ليُمكنّهما من العيش) وبالتالي تزيد كمية فائض القيمة المستخلصة. فناتج العمل تعود ملكيته للرأسمالي لا للعامل. ويحقق الرأسمالي عبر بيع السلع المنتجة في السوق فائض القيمة الذي استطاع استخلاصه على شكل فوائد يجنيها من ذلك البيع. وبهذه الطريقة فإن الطبقة الرأسمالية ككل تستخلص كتلة من فائض القيمة من الطبقة العاملة ككل. ويتم تقاسم تلك الكتلة من فائض القيمة بين مختلف قطاعات الطبقة الرأسمالية ضمن صراع الأسواق وعبر آليات مثل نظم الأسعار والمنافسة والتلاعب والمناورة والقيود على التجارة، إلى آخره... ويحلل ماركس هذه التعقيدات في كتاب رأس المال، ولكن في النهاية فإن ما يتم تقاسمه ضمن ذلك الصراع السوقي هو ما تم إنتاجه عبر إنفاق قوة عمل الطبقة العاملة.

كل ذلك يقود إلى حقيقة أن الأرباح والثروة التي يجنيها الرأسمالي ليست من نتاج عمله الخاص، ولكنه نتاج عمل أناس آخرين هم العمال. وكما يشرح ماركس في مؤلفه الأبكر من كتاب رأس المال «القيمة والسعر والربح" (1865) فإن «فائض القيمة أو ذلك الجزء من القيمة الكلية للسلعة التي تمثل فائض القيمة أو العمل غير مدفوع الأجر هي ما أسميه الربح" أو هي ما نستطيع أن نطلق عليه من وجه آخر ذلك التعبير المبسط الذي وضعه إيلون ماسك "أعطني ذلك مجانًا"!

ولكن لابد لنا من بعض التوسع هنا لكي نفهم الوضع الحاضر، فتلك هي الطريقة التي استخدمت بها الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة – خصوصًا خلال العقود الأربعة الأخيرة – سيطرتها على جهاز الدولة لكي تحول الثروات مباشرة إلى الأسواق المالية وبالتالي إلى الحسابات البنكية العائدة للقلة من فاحشي الثراء.

وضمن مواجهتها لتبعات جائحة فايروس كورونا قامت الطبقة الحاكمة الأمريكية ممثلة في بنك الاحتياطي الفيدرالي (البنك المركزي الأمريكي) بمنح مليارات الدولارات إلى شركات وول ستريت مما رفع أسعار سوق الأسهم إلى مستويات استثنائية. وقد تم تمرير عملية الإنقاذ المالي الضخم تلك للشركات الكبرى والبنوك – وهي عملية تنطبق عليها أيضًا مقولة ماسك "أعطني ذلك مجانًا" عبر تصويت بالإجماع من قبل الحزبين المسيطرين في الكونغرس الأمريكي على تمرير قانون CARES في شهر مارس من عام 2020.

وأخـيراً فإن ثروة ماسك بالذات نمت من خلال عمليات مالية من هذا النوع من التدخلات الحكومية. ونتيجة للصعود الكبير في سوق الأسهم وسط وضع شعبي بالغ السوء يخيم عليه الموت والبؤس الاجتماعي كان ماسك يرى القيمة الصافية لثروته تتزايد إلى ثلاثة أضعافها في الشهور السبعة الأولى من ذلك العام.

رابط المقال:

29 Elon Musk Discover Das Kapital » By Joseph Kishore in WSWG.ORG dated
html.musk-j29/29/07/2020/https://www.wsws.org/en/articles .2020 July
(Tesla CEO Elon Musk (AP Photo/Jae C. Hong

(Endnotes)

1 مترجم: ولو التزمنا بمستوى السجل اللساني في ترجمة التغريدة فيمكن أن نقول بالعامية: أبو بلاش كثر منه.

* رئيس حزب المساواة الاشتراكي الأمريكي

تحدي تسليع الطبيعة

أُجريت هذهِ المقابلة مع John Bellamy Foster في أوائل شهر أكتوبر وظهرت لأول مرة في عدد نوفمبر ٢٠٢١ من مجلة – Irish Marxist R view تحت عنوان "حالة الطوارئ الكوكبية": ما العمل الآن؟ تم تكييفهِ للنشر هُنا.

ترجمة:
غريب عوض

John and Owen: هناك عددٌ من المُناقشات داخل الحركة ومن بين البيئيين الإشتراكيين. (1) هل يجب أن نتحدث عن عصر التأثير البشري أم عن عصر حُرية رأس المال؟ (2) هل ينبغي أن يدعو الإشتراكيون البيئيون إلى تخفيض النمو، وإذا كان الأمرُ كذلك، فماذا عن التنمية في جزء العالم الجنوبي؟ (3) هل تعتقد أنهُ من المُجدي الحديث عن "حقوق الطبيعة"؟ (4) هل حان الوقت للقيام بأعمال تخريبية و/أو أعمال العُنف، مثل "تفجير أنابيب النفط"؟ ما رأيك في أي من هذهِ الأسئلة أو جميعها؟

John B. Foster: هـذا يتطلب الكثير من الأسئلة والنقاشات دَفعة واحدة. سأحاول الإجابة عليها بإيجاز، على التوالي.

(1) عصر التأثير البشري هو مفهوم علمي دقيق تماماً، وهو جزء من مقياس الوقت الجيولوجي، وهو أحد الإنجازات العظيمة للعِلم الحديث. إنهُ يُشيرُ إلى القوى البشرية (عبر المجتمع) هي الآن العوامل الرئيسية في تغيير نظام الأرض. لاشك في هذا، ولا توجد إمكانية لهذا التغيير بأي حال من الأحـوال مع استمرار الحضارة الصناعية. حتى لو كانت الرأسمالية ستزول، وكان على الإشتراكية أن تحل محلها، فإننا سنظل في عصر التأثير البشري. لا يوجد تغيير في هذا دون تعريض الحضارة الإنسانية والوجود البشري للخطر. في الواقع، تدفع الرأسمالية العالم الآن نحو حدث إنقراض البشرية (وربما حدث الإنقراض الرُباعي)، والذي سينتهي فيه التأثير البشري على الأرض بتدمير الحضارة الإنسانية نفسها، جنباً إلى جنب مع أنواع أُخرى لا حصر لها. وبهذا المعنى، المُصطلح "عصر الإجتياح الرأسمالي" هو مُجرد خطأ تصنيفي يتجاهل نتائج العِلم الطبيعي ويُمثل عدم الرغبة في مواجهة حقيقة الحقبة الجيولوجية الجديدة التي نعيش فيها الآن.

عند الإقتراب من هذا بشكل أكثر واقعية، يمكننا القول أنـهُ بينما، رسمياً، نعيش حالياً في عصر Holocene (العصر الحديث) في الزمن الجيولوجي، الـذي يمتد إلى ما يُقارب 11،700 عام، في الحقيقة نحنُ نعيش الآن في حقبة التأثير البشري غير الرسمي الذي لا يزال يمثل عوامل بشرية المنشأ الآن كونها القوى السائدة في تغيير نظام الأرض. ويرتبط هذا ارتباطاً وثيقاً بتاريخ البشرية عندما يتعلق الأمر بالعصور الجيولوجية، التي تتداخل مع العصور الجيولوجية. من وجهة النظر هذهِ، نحنُ نعيش اليوم رسمياً في حقبة الميغالايان من عصر Holocene (العصر الحديث)، حيث يعود تاريخها إلى حوالي 4200 عام وغالباً ما يرتبط بالإنهيار الحضاري المُبكر بسبب تغيّر المناخ (على الرغم من أن هذا موضع خلاف في المجتمع العلمي). تُعتبر حقبة الميغالايان آخر عصر جيولوجي في عصر ال Holocene. ومن ثم، فقد جادلنا أنا و Clark، بصِفَتُنا عُلماء إجتماع بيئي مُتخصصين، مؤخراً (في مجلة Monthly Review عدد سبتمبر) إنهُ بحلول حقبة التأثير البشري، دخلنا عصراً جيولوجياً جديداً، العصر الأول من حقبة التأثير البشري، التي بدأت في نهاية الحرب العالمية الثانية مع حقبة التأثير البشري نفسها. نحنُ نقترح تسمية هذا العصر الجيولوجي الجديد ((Capitalinian Aage العصر الرأسمالي لأنهُ يُشيرُ إلى النقطة التي بدأت عندها الراسمالية المُعولمة، التي ظهرت كقوة جيولوجية تُهدد الكوكب نفسه، في تعطيل نظام الأرض بأكمله. في النهاية، تواجه البشرية الآن أما يحدث نهاية إنقراض التأثير البشري، من الناحية الجيولوجية، يتطور من الرأسمالية (في العصر التاريخي لرأسمالية الكارثة)، أو أننا سنجد طريقة لإنشاء مجتمع مع كوكب الأرض، والذي سوف يتطلب مجتمعاً من الإستدامة البيئية والمُساواة الموضوعية (الإشتراكية البيئية)، والدخول في عصر جيولوجي جديد: ما نسميه أنا و Clark "العصر الشيوعي". تكمن قيمة هذا الإطار في أنهُ يُخبِرُنا بالضبط ما هي الخسائر. وهكذا نواجه في حقبة التأثير البشري والعصر الرأسمالي مناخاً عظيماً يتطلب إيجاد عالَمٌ يتسم بالتطور المُشترك مع نظام الأرض أو العصر الشيوعي وإلا لن نبقى على قيد الحياة. وبهذهِ الطريقة، بإمكاننا أن نفهم العلاقة ما بين تاريخ الإنسان والتاريخ البيئي كما يُقدم نفسهُ في زماننا هذا.

(2) إذا كان خفض النمو يعني أنهُ يتعيّن علينا تقليل تأثيرنا على نظام كوكب الأرض؛ إن الأقل هو أكثر كما يُجادل Jason Hickel في كِتابهِ؛ إن التراكم الأسي لرأس المال على نطاق عالمي لا يمكن أن يحدث في نظام أرضي محدود؛ إننا يجب أن نتحرك نحو اقتصاد حالة مُستقرة (مع انخفاض

بقلم: محرر مجلة
Monthly Review

الوزن الإقتصادي مُقارنة بالحاضر) الذي يُعزز التنمية البشرية المُستدامة؛ إننا بحاجة إلى اقتصاد إشتراكي مُخطط بشكل ديمقراطي يُركز على حلول الطاقة المُنخفضة ويُقلل من الهدر والدمار؛ إن العالم يجب أن يتحرك نحو مُستويات مُتساوية لنصيب الفرد من استخدام الطاقة، قريباً من مستوى إيطاليا اليوم (ويسمح للدول الفقيرة باللحاق بالركب)؛ إنهُ يتعيّن علينا التأكيد على المجتمع بدلاً من على الإنتاج السلعي، نعم، عندها، أنا أُؤيد فكرة "تراجع النمو"، على الرغم من ذلك مع بعض التحفظات. إنهُ يُمسكُ بجانباً أساسياً من المشكلة. لم يعُد نمط النمو الرأسمالي مُمكناً.

ومع ذلك، إن مفهوم خفض النمو في حد ذاته يواجه مشاكل فيما يتعلق بالطريقة التي نختار بها صياغة استراتيجيتنا. فهو ببساطة إنعكاس لمفهوم "النمو"، وهو أقوى استعارة للنظام الحالي، تم تقديمه بعد الحرب العالمية الثانية لتمثيل الزيادة في الناتج المحلي الإجمالي. هُنا النمو ببساطة هو دفتر الأستاذ المُحاسبي المُهيمن، القائم على مسك الدفاتر الرأسمالية المُزدوجة، والذي تم رفعه إلى المُستوى الوطني. إنهُ يعني أي شيء (الإنفاق الحربي، الجريمة، إنتاج الوقود الأحفوري، حُسن التصرف في النفايات النووية، المنتجات التي يمكن التخلص منها على الفور) المُساهمة في "القيمة المُضافة". ويشمل كل شيء يمرُ من خلال السوق، مهما كانت طبيعة السِلعة المُعيّنة، وبصرف النظر عن تبذيرها، وهدمها، وعدم عقلانيتها، وعدم المُساواة، والأستغلال، والمُصادرة المُتضمنة فيه. إذا قطع المرء أشجار غابة، وهو من الناحية الرأسمالية هي ملايين الأقدام من ألواح الأخشاب الواقفة، فإن ذلك يُعتبر نمواً. ومن المُفارقات أن نمو غابات الأمازون نفسها لن يُشكّل "نمواً". في الواقع، يتم تدمير الأمازون اليوم بإسم التطور الرأسمالي.

لكن أن نقول، إذن، إن ما نُروج لهُ كبديل هو "خفض النمو"، والذي يعكس فقط هذا المفهوم المُشوه للنمو، ويُخاطر بمُضاعفة الإرتباك، ومُعاملة المشكلة البيئية على أنها مُجرد مسئلة مقياس. ثم يتمُ اختزال المسئلة إلى جوانبها الكمية، وليس لها علاقة بالضرورة بالقضايا الكمية والعلاقات الإجتماعية وما إلى ذلك. ويبدو الأمر كما لو أنهُ يُمكننا المُضي قُدُماً كما نحنُ، ولكننا بشكل أصغر فقط، وبالتالي نُمسِكُ بِبُعداً واحداً فقط من المُشكلة.

بينما، في الواقع، فإن القضية الأساسية هي طبيعة نظام التراكم نفسه، والآثار البيئية المُدمِرة التي لا يمكن اختزالها في مجرد مسئلة حجم. (بالطبع، يُدرك هذا أكثر مُنظري خفض النمو فطنةً ويدمجون الإهتمامات النوعية في تحليلاتهم.) كما أننا نواجه المشكلة التي يُجادل فيها بعض مُنظري خفض النمو، مثل الإقتصادي الفرنسي Serge Latouche، بأن خفض النمو مُتوافق مع الرأسمالية، كما لو أن الرأسمالية ليست نظاماً لتراكم رأس المال إلى ما لا نهاية. لقد تجنب بعض مُنظري خفض النمو أيضاً قضية التنمية المطلوبة في جزء كبير من جنوب الكرة الأرضية، والتي لا يمكن أن يُطلب منها التقليل من النمو. بشكل عام، يُعتبر مفهوم خفض النمو مُفيداً في إنشاء المُؤشرات الضرورية. ولكن القضية الحقيقية هي النظام الإجتماعي.نفسه. وأمامنا أيضاً مشكلة مواجهة مفهوم موطن للنمو من خلال قلبهِ رأساً على عقب، مما ينتج عنهُ صعوبات حقيقية في بناء مفهوم شائع. لقد حاول بعض مُنظِري النُظُم البيئية مثل Howard Odum التغلُب على هذا بواسطة معالجة قضية "طريق مُزدهر إلى الأسفل". غير أن، في اعتقادي، أن الإجابة الحقيقة الوحيدة، هي جعل الإشتراكية البيئية هي المحور الأساسي بدلاً من خفض النمو.

المشكلة الأساسية هي أننا نعيشُ في "مجتمع تراكمي"، كما أسماه الماركسي الفرنسي Henri Lefebvre. ما نحتاجهُ ليس رؤية شاملة لخفض النمو بقدر ما هي رؤية شاملة لنزع التراكم. إن الرأسمالية خَطِرة على البيئة ليس لأنها ببساطة تنمو، إنما بسبب أسلوب نموها (التراكم بأي ثمن)، الشيء الذي يُضاعف المخاطر على البيئة وعلى الإنسان فوق سطح الأرض. تم تسليط الضوء على هذهِ المسألة في مقالتي (المُدرجة في الصدع البيئي) بعنوان «القانون العام المُطْلق للتدهور البيئي في ظل الرأسمالية».

ومع ذلك، فإن فكرة خفض النمو تحدثُ فجوة في أيديولوجية النمو الراسمالي، وهو أمرٌ أساسي. النمو الهائل، وفوق كلُ شيء، التراكم الرأسمالي، يُدمّر الآن في الواقع أكثر مما يخلقه في العالم الحقيقي، ويُدمر الكوكب بإعتبارهِ موطناً للبشرية. علاوة على ذلك، في السنوات الأخيرة، لعب مُنظِرو خفض النمو دوراً رائداً في تطوير ستراتيجيات الطاقة المنخفضة للتعامل مع تغيّر المناخ. وهكذا، تتم الإشارة إلى عمل Andreas Hickel (مع أعمال المؤلف السويدي Malm وآخرون) في الجزء الثالث المُسرب من التقرير السادس للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ وهو يُشيرُ إلى إمكانية وجود استراتيجيات منخفضة الطاقة، يُنظر إليها على أنها الأمل الرئيس الآن للبقاء دون زيادة 1.5 درجة مئوية في متوسط درجة الحرارة العالمية، وكتقديم الحجج فيما يتعلق بعدم إستدامة الرأسمالية.

(3) لا أعتقد أنهُ من المنطقي التحدث عن «حقوق الطبيعة»، فقط لأن الطبيعة من المحتمل أن تخسر في أي منظور من هذا القبيل، كما تفعل البشرية اليوم. ترتبط الحقوق السياسية (الطريقة الرئيسية التي نُشيرُ بها إلى الحقوق في المجتمع الرأسمالي) بكونها جزءاً من النظام السياسي، بناءً على فكرة نوع من العقد الإجتماعي الأولي (مفهوم قدمهُ الفيلسوف اليوناني Epicurus أبيقور لأول مرة في العصور القديمة)، أو من كونها جزءاً من نظام دستوري تم إنشاؤه بوعي. في نمط الإنتاج الرأسمالي، يتم اختزال الحق، بهذا المعنى، بشكل أساسي في حق المُلكية القائم على مفهوم السِلعة، الذي يُشكّل أساس النظام القانوني باكمله. هناك أيضاً مفهوم أخلاقي للحق الطبيعي يتم تصوره بطُرُق مُختلفة ومنفصلة عن الحقوق المشتقة سياسياً. هذا المفهوم أكثر إرباكاً لأنهُ محذوف من مفهوم العقد الإجتماعي. هُنا، إذا كُنا نتحدث عن العدالة، كما جادل أبيقور، ووافق ماركس على ذلك، المفهوم الأساسي للعدالة هو المُعاملة بالمثل، بالإضافة إلى الأعتراف بأن فكرتنا عن العدالة يجب أن تتغيّر جنباً إلى جنب التغييرات في علاقاتنا واحتياجاتنا. هُنا بإمكاننا التحدث عن الحاجة، في علاقة المعاملة بالمثل، للحفاظ على الأرض وإعادة إنتاجها، وكيف تتطوّر هذهِ الحاجة مع التاريخ. ينبغي علينا أن نُدرك علاقتنا الحسية والجمالية بالطبيعة، حقيقة أن البشر أنفسهم جزء من الطبيعة، والتي نتعامل معها بطريقة حسية ومادية، وهو أمرٌ أصر عليهِ ماركس مِراراً وتِكراراً. أكد العالم والفيلسوف الأمريكي Aldo Leopold، من منظوَر مُختلف، ولكنهُ تحدى تسليع الطبيعة (جعلها سِلعة)، على الحاجة إلى توسعة إحساسنا بالمجتمع ليشمل الطبيعة. يجب أن يكون لدينا إحساس بالقيمة الجوهرية للطبيعة، كقيمة الحياة نفسها، والعلاقة الجمالية بالطبيعة، المُستمدة من هذا الإحساس الأكبر بالإنتماء إلى الأرض.

الخروج في النّهار

في البستان لا يمكنكَ أن تقولَ أكثر ممّا ترى.

حين بدأتُ التصوير في بساتين شارع النخيل في منتصف التسعينات بكاميرا كانون (AEI) الفيلميّة: «الخرارات»، «العذار»، «الساجنية»، «الفوقيّة»، «البديعة»، «المحموديات»، «المقيسم» «السردحة»، «الهربدية»، «الخراب»، «الأطباع»، «الشاذبيّة والصبيخة» و«يار يار»، وقتها قال لي نخلاويّ «تأخرت كثيراً. أنتَ لم تر البساتين»!

حسين المحروس
كاتب وفوتوغرافي من البحرين

حملت كاميرتي وعبارته معاً، لم ينفكّا أبداً، بظنّ أكيد أنّ الصورة امتداد الزائل، بها تصبح «تأخّرت كثيرا» لا قلق فيها وأنّ الحدود بين «أنتَ لم تر البساتين» تشبه – إلى حد ما – الحدود الوهمية بين البساتين وأنا أتنقل بينها، ولا أعرف أنّي خرجت من واحد ودخلت في آخر حتى يقول لي نخلاويّ أنت خرجت من بستان «السردحة» أنت الآن في «المقيسم»!

رأيتُ أنّ تجربة تصوير البساتين تشبه تجربة تصوير الصيادين في سواحل البحر في أن كليهما، البساتين والسواحل في طور الغياب أو الزوال؛ فالكثير من البساتين التي صورتها بشكل ممتدّ، وصورت نشاط الزرّاعين فيها أزيلت والبحر لم أعد أجده. صارت صورهما في أرشيفي خيالية، لا أظنّ أن الأجيال القادمة سوف تصدّقها. حدث كلّ ذلك في فترة وجيزة جداً. هنا – بالتحديد– هذه الصور تحمل معنى يتجاوز الجمالي إلى التوثيقي التاريخي، يصير لها وظيفة أخرى: إيلام الآخرين!! هذا جزء من وظيفة الصورة، بكلّ هذه السخرية.

في العام 2006 حين دخلت «الشاذبية والصبيخة» أوّل مرّة والتقيت فيها بالحاج عبدالله بن خميس وأخوته الثلاثة كانت عبارة النخلاويّ في وجهي! قلت لنفسي: صحيح جداً، أنا لم أرَ البساتين لكنّي رأيت العين التي رأت البساتين: عبدالله، جميل، رسول وحبيب حين بدأت هذا المشروع، بعيونهم، برواياتهم، حكاياتهم، ثقافتهم العميقة إلى أبعد جذر نخلة في هذا البستان الصغير.

كنت حذراً للغاية في البداية، وربّما تركتُ كاميرتي في حقيبتها؛ ليس لأنّ العلاقة في بدايتها، ليس لخفّة الترحيب في نفوسهم؛ فهذا مقابل طيبتهم، طبيعة كرم الأرض تحت أقدامهم، لكن المكان في البستان كلّه جدّ، كلّه قصد، كلّ شيء في موعده، ولا يليق بمصور ليس جاداً أن يذهب للفلاحين، يرفع الكاميرا في عيون الضحكُ فيها جادّ. رأيتُ الفلاحة شأنا قديما، لكن الشكل الذي أمامي– وأرغب في تصويره– حديث جداً، فكيف لكاميرا صغيرة العلاقة، جديدة العين أن تعي هذا المعنى؟! وكيف أعي معنى أنّهم يعرفون مواسم الغرس بالرائحة، لا بالمواقيت؟!. كيف يمكن كتابة ذلك فضلاً عن تصويره؟!

أصغيتُ لسيرة أربعة أخوة نَقّلهم نظامُ «التضمين» القاسي من بستان لآخر، مثل بدو في البساتين. دوّنتُ سير أربعة رجال كلّها تبدأ بـ«ولدتُ هنا في البستان». وحين سألتُ إحدى نساء العائلة–فاطمة بنت رحمة– عمّا إذا

كان هناك سببٌ آخر لتنقلات الفلاحين غير نظام «التضمين» قالت «الفلاحون يهجّون». وضعتُ مساحات البساتين التي عبروها متجاورةً؛ فرأيتها تنقص إلى النصف تقريبا في كلّ مرّة، حتى أنّه يمكن للفلاح في أوّل البستان –الآن– أن يرى الآخر أينما كان، ويمكن –أيضاً– رؤية البيوت الاسمنتية تحيط به من كلّ جهة مثل مترصد للقتل.

فلما توثّقت العلاقة مع ثلاثة منهم، قلت لنفسي حينها: هذه وجوههم، ليس هي التي رأيتها من قبل أبـداً، وهذه عيونهم التي رأت البساتين التي لم أرها؛ لأنّي «تأخّرت..». اجتهدتُ –قدر الإمكان– في تصوير تلك الوجوه في حالاتها، بلا عناية، تجاوزاً للبورتريهات المحضّرة، التي تتّسمُ بها مرحلةُ البرجوازية في التصوير، ومحاولةً لأخـذ الناظرين إليها، القارئين للنصوص المرفقة بها، النصوص التي هي في الأصل من كلام الزرّاعين أنفسهم؛ لفهم معنى التعب في حياتهم، المنسيين في بساتينهم تحت نظام «التضمين». سجل فوتوغرافي لنشاط مضنٍ في أساسه، رومانسي، مسلٍ في ظاهره تصوراته عند النّاس. هذه واحدة من مهمات التصوير: إن لم نفهم حياة الزرّاعين في البحرين، سوف نقوم– على الأقل– بجمعها في صور، ما دام الواقع أصبح ذاك الذي لا نراه إلا في مجموعة صور.

طالما كتبتُ أن المعاني مطروحةٌ في الوجوه، ولن ينتهي التعبير فيها يوماً، ولا عنها، مهما كانت طريقة التعبير أو شكله. وأنـتَ في كلّ تلك الحالات عليك أن تعرفَ متى ترفع الكاميرا في وجوههم الجادّة، وتستحوذَ على لحظة الفتح في الوجه فتبدأ علاقة مختلفة عن تلك التي أثثت بها لهذا الفعل ومهدّت، علاقة أعمق معرفة من تلك، وأن تحاول بشكل ما تقليل «العدوان» المقترن بفنّ التصوير. وأنّ الصورة هي التجربة، ولا يمكن لمصور أمـامـهـا أن يقول «اكتفيت». عندما التقيتُ بالحاج عبدالله بن خميس وأخوته في مجلس عزاء، سأله صديق لي: ماذا يفعل هذا الرجل في البستان؟! فقال: "يصوّر والنهار ما يجزّيه".

زرتهم ليلاً في البيت الذي يجمعهم، البيت الذي لا يرونه إلاّ في الليل. ثيابهم التقليدية البيضاء، الضحكة البيضاء –أيضًا– في بيتها. شربنا الشاي وصار السـؤال على صورة كبيرة لوالدهم الفلاح الحاج عيسى بن خميس، بكر أمينة، معلّقة في وسط المجلس. هذا الرجل رأى أكثر. انفتح الكلام على تلك المقارنة التي لم تتوقف يوماً، تسبقها آهات: البساتين قديماً، البساتين حديثاً، الماء الكثير، النساء يخصفن من خوص سعف النخيل حُصراً، يميّزن جيداً رائحة المشموم الملفوف بالورد المحمديّ، الظلّ الكثيف المتّصل في المسافات الطويلة في البحرين، الطريق العودة (شارع البديع) المظللة كلّها بالشجر، بالنخيل، بالثمر، الهواء النقي، الغبار النادر، رائحة نَفَس الأرض، تداخل البساتين ورضى النفوس. وكان الأكثر حضوراً في تلك المقارنة حياة الآباء، كثرة الحياة فيها، الإعالة الأيسر، الوقت يكفي مهما كانت مساحة البستان، تغيّر المناخ، قلّة الأشجار وانحسار الظلال. وكان ذلك يكفي لتبرير التصوير الآن وليس غداً، جمعا لما يصعب فهمه، إنذاراً للتراخي في التحذير من فقدان طبيعتنا، أرضنا، بساتيننا، هواءنا وماءنـا... حفظاً للعين التي رأت، واستنطاقاً لما بقي من البساتين، التي تنتظر حفظها، ترويج جمالها وعطائها، وحتى لا أزعـم أنّي فهمتُ حياةً لم أجتهد في تصويرها، ولا أصوّر وجوه ناس لا أعرفهم وحتى –أيضاً– لا أتأخر مرتين.

لا شيء يتغير يا لوركا

زهراء المنصور

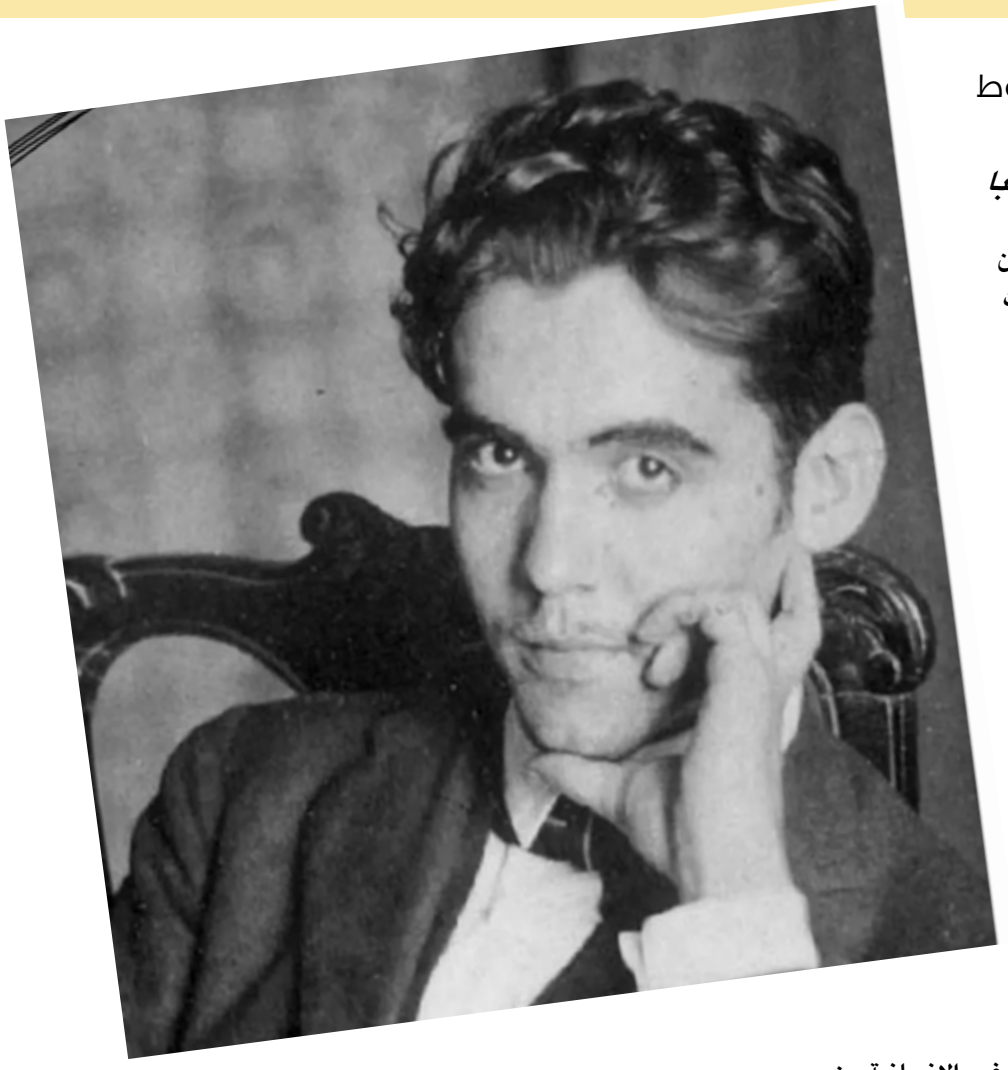

«الخيط والإبرة للنساء، وسير السوط والبغال للرجال».

بيت برناردا ألبا

حدث في وقت قريب؛ حوار حي بين صديقتين مقربتين حول عدم دعوة إحداهما لحفلة زفاف، أجابت الأخرى بثقة: لئلا يكون هذا مدخل عذاب أو تجريح لكِ! وهي إجابة، بعد كونها صادمة، غريبة من حيث حمولتها، والسبب المتخيل لهذه الفكرة التي لا بد أنها ليست عابرة، بل وتحمل تاريخاً من الأفكار المتراكمة، مرجعها إلى كون السائلة عزباء، والأخرى متزوجة! لذلك كان من اليسير تفسير أن مكمن العذاب من وجهة نظر الأخرى: حضور العازبة لحفلات زفاف، أو أي نشاط في محيطها، يذكر الأولى بوضعها الاجتماعي المأسوف عليه! نستغرب طبيعة هذه الأفكار، ولوهلة قد يفترض البعض أنها من وحي الخيال حين نقرأها أو نسمع عنها. ما لا ندركه أن أفكار هذه "الأخرى" موجودة وكامنة، لكنها قد لا تستعمل في وجود المعنيات بالمسألة، سواء كانت حالة العزوبية، أو أي وضع خرج عن المخطط "التراتبي" للمجتمع، فاستحق أن ينظر إليه بعين الاختلاف غير المرغوب فيه، لأنه اختلاف مقرون بانتقاص! ومرة بعد مرة يوقد موضوع: لمَ الأنثى محصورة في هذه الدائرة الضيقة البَائسة، بحيث يتم تقليص دورها في الحياة والاستخفاف به؟ خصوصاً إذا أتت هذه النظرة غير الإنسانية من قبل أنثى مثلها.

وقد تتشابه المجتمعات التي تدفع الكتاب والمؤلفين لابتكار نصوص تصور جزءاً من هذا الواقع ليكون شاهداً حياً مع مرور الوقت، ولن يكون التشابه لمعاملة الأنثى –بنفس الموقف المذكور وغيره– وترتيبها مجتمعياً مفاجأة يدهش لها المتلقي بين مجتمع وآخر، حتى مع مرور الوقت. فعدد الكتاب الذين استعرضوا الوضع/ المعاناة/ استجابة الأنثى للضغوط التي تتعرض لها، ليس بالقليل. وسواء كانت ضمن دور رئيسي، أو في سياق الحدث، فكلها وثقت للمجتمع الذي حصل فيه الحدث كشاهد على العصر، كما فعل الكاتب الإسباني فيديريكو غارسيا لوركا (1898–1936م) الذي يكاد أن يتبنى في نصوصه المسرحية قضايا المرأة بأشكالها المتعددة، في مقارنة المجتمع الإسباني في بداية القرن العشرين مع المجتمع العربي المعاصر، بدءاً من العناوين التي تحمل أسماء بطلاتها/ محركات الأحداث أو الشخصيات الرئيسية التي تدور حولها الأحداث.

أخذ لوركا على عاتقه تصدير شخصيات من مجتمعه القروي الذي زخر بهذه النماذج: "يرما" التي تعارك قدرها ونفسها والمجتمع الذي يرجمها بالقول كل حين لأنها الأنثى "البور"، غير الحاصلة على لقب الأمومة المقدر بشدة في بيئتها التي تصب كل اللوم عليها بوصفها "العاقر"، أو "روزيتا العانس" والذي يكفي لمعرفة النوع والحالة وفي النص تتضح التفاصيل التي تبرز معاناة الأنثى، لأنها اختارت، أو شاءت الظروف ألا تتزوج فتصبح حياتها "قالباً مثالياً" كما الأخريات اللاتي يتباهين بإنجاز هذه الخطوة، وبيت "برناردا ألبا" حيث الأم التي تورث لبناتها ما ورثته في تقديس العادات والتقاليد، حتى لو تنافت مع الطبيعة الآدمية واحتياجاتها، مما يؤدي إلى صدام متوقع، وكذلك نص "عرس الدم" الذي استخدم القضايا الاجتماعية في توضيح ما تتعرض له الأنثى من ظلم بيّن تساهم فيه كل الأطراف. كل هذه النماذج وغيرها تقع ضمن هيمنة التقاليد الذكورية؛ بشخصها، أو صفتها التي تسبغها على المجتمعات التي تحكمها الأعراف بالمقام الأول.

هيمنت الأعراف والتقاليد على نصوص لوركا الأربعة المذكورة، والمكتوبة في أوقات متقاربة، والتي تسيطر على المجتمعات الريفية الإسبانية، وغيرها من المجتمعات الصغيرة في كل مكان، اكتسبت فيها العادات شكلها الشرعي من الاستمرارية، وتناقل الفكرة دون تفحّص، جيلاً بعد جيل، بل بمزيد من الإضافة المتطرفة. ومع الوقت أيضاً، سيطر

العرف على القانون والدين، وتحكم بالمجتمع بلا أي وجه حق، سوى ما ورث عن الآباء والأجداد، وكأنه إمعان في الارتباط بالجذور التي لا جدوى منها. لأن تحليلاً بسيطاً لأي عرف تحول إلى تقليد، في أي مكان، أساسه غالباً غير منطقي، لكن الوقت والاستمرارية جعلت منه ناموساً، والخروج عنه تمرد ومخالفة غير محمودة العواقب، ولأنه أيضاً، إذا نجا الفاعل، فلن ينجو من له صلة به في دائرة نفس المجتمع.

وكما عكست نصوص لوركا المذكورة أوضاع الريف والمناطق الصغيرة الإسبانية التي تسود فيها الأعراف، وهو المكان الأنسب للتطبيق بدون خوف من مساءلة أو سلطة خارجية في هذا المجتمع المغلق؛ عكست أيضاً طبيعة ناسها: في ضيق أفقهم، وقلة حيلتهم، أو "حيلتهن"؛ حيث التركيز على إناث لوركا في أحداث مثل نص "عرس الدم"، والتي قدمها في ثلاثينيات القرن الماضي، كما باقي نصوصه محل التحليل. وقد عبر في "العرس" عن الأحداث الضيقة التي حصلت بين عائلتين، بينهما عداوة دم ممتدة، لا يأتي المؤلف على ذكر سببها، وبالتالي لا يسأل شخوصها لمَ هذا العبث في سلسلة القتل الممتدة حتى تفرق بين قلوبَ أحبّت بعضها، رغم المحاذير الاجتماعية التي تمنع أن تختلط الدماء؟ ألا يذكرنا هذا الثأر بهذا الممتد في مناطق الصعيد التي تظهرها الدراما المصرية، والأخبار في بعض الدول العربية حتى الآن، وكيف أنها مغامرة عبثية لا تنتهي إلا بمعجزة إلهية، وبعض العاقلين؟ وقد يكون الثأر في مناطق محددة من بلداننا التي تحب أن تحيي ماضيها وتعيش فيه. لكن يبدو أن لوركا لما كان يقرأ قضايا مجتمعه في ذاك الوقت المبكر، كان يستشرف الحالة العربية الراهنة، كون الثأر ليست القضية الوحيدة التي تخصنا، بل من اللافت جداً تركيزه على القضايا التي تخص الأنثى تحديداً، في ما يتعلق بتطبيق العادات والتقاليد والأعراف الحادة. فهو يربط مثلاً الأنثى وحدها بمفهوم الشرف تحديداً في حديث الأم مع بقية شخوص المسرحية، والتي تعكس الحالة العربية "الحالية"، بتطابق يجعل من الأنثى مفتاح الشرف لعائلتها، وكل من ترتبط بهم بصلة.

لذلك، فإن آلية التحكم لدى برناردا في بيتها وبناتها ليست مستغربة في هذه البيئة المحكمة ذات القياسات الخاصة والمحددة جداً، وقرارها بالحزن هي وبناتها على زوجها ثماني سنوات، هي زهرة شباب بناتها اللائي يتطلعن للحب بطبيعة أعمارهن، وكأنَّ موت الزوج كان المسوغ المناسب لإحكام القفل أكثر وأكثر حولهن.

أيضا لا داعي لذكر براهين، لا تعدّ، حول إقران "العذرية" بالشرف، والاهتمام المنصبّ عليها كأولوية تفوق كل الأولويات، وتأكيد برناردا أن ابنتها أديلا التي دخلت في علاقة غير سوية مع خطيب أختها الكبيرة بأنها "ماتت عذراء"، وكأنَّ أي سبب آخر لا يهم، حتى الموت نفسه. وكأنَّنا بلوركا يقرأ الوضع المعاصر في مجتمعاتنا العربية التي تشكو ضيق الأفكار والأفق، وكأنَّ التطور الذي يحدث في العالم لا يعنيها. كم من جريمة حدثت بقتل أخ لأخته –الأقوى والأضعف بطبيعة الحال– بسبب مجرد "شك" في سلوكها، أو تجاوز بسيط لمعايير المجتمع حسب رؤيتهم. وحتى لو كان تجاوزاً كبيراً، فلابد أن لكل شيء حلاً أقل من زهق روح إنسان. أما الأقسى من الجريمة نفسها، فهو التصفيق والمباركة التي يحصل عليها الجاني، حتى ولو عوقب بالقانون جراء ذلك، من غسل العار "المتخيل".

أما "يرما" بطلة نصها، المكلومة في أنوثتها قبل أمومتها، لأن العيب يطالها هي بدون الحاجة للتأكد أو إعادة النظر، فإن بيئتها تمنعها من إقامة علاقة طبيعية، جنسية، مع الزوج، طالما أن الهدف ليس الإنجاب! وبينما يقتلها الحنين لأن تلمس طفلها يوماً ما، لا يفكر زوجها إلا بمن سيكون يداً عاملة تتبعه ويستفيد منها! وبالمقابل، بعض البيئات العربية لا يمكن أن تقل قسوة عن مجتمع "يرما". فالزوجة مجرد "وعاء جنسي"، إن لم يصلح؛ يباح للزوج التعدد حتى يأتي من يحمل اسمه واسم عائلته – في مجتمعات الخليج خصوصاً التي اعتاد فيها الزوج استخدام هذه الرخصة حتى من غير مبرر الإنجاب –، وربما هو حق مشروع لمن يرغب أن تكون له ذرية وامتداد في الحياة.

لكن ماذا لو كان الوضع معكوساً، وظهر أن الزوج، لسبب ما، غير قادر على الإنجاب، أو حتى ممارسة العلاقة الزوجية، وأرادت الزوجة أن تنفصل من أجل الزواج بآخر، والإنجاب؟؟ إذا استطاعت أن تخرج سالمة من هذه العلاقة، فلن تستطيع أن تنجو من المجتمع الذي سينهك روحها من الاتهامات الباطلة التي تنعتها بالأنانية، وعدم الصبر والرضا بالقدر. الأعراف تمتنع عن مساواة شعور فردين من البشر، لا شيء، إلا لكون أحدهما ذكراً، والأخرى أنثى، مصابة في جنسها بالوراثة عبر التاريخ.

هذه بعض القضايا التي التمسها لوركا الأسباني قبل ثلاثة وثمانين سنة على وفاته، ومازالت عجلة تنبؤاته تنبت هنا وهناك، جذورها ضاربة في العمق، وأشواكها تكثر وتتعقد كلما تقدمت مجتمعاتنا ظاهرياً، وبقيت نماذج هذه "الأخرى" كأنها إحدى بطلات قرية "فونتي فاكيروس" التي عاش فيها الشاعر، ومات، متيقناً أن لا شيء يتغير طالما أن هناك ثوابت في النفوس لا تتغير، مهما ادّعت ذلك.

موضوع المادة عن النصوص التالية لـ لوركا: بيت برنارد ألبا/ يرما/ روزيتا العانس/ عرس الدم

مُدُن المِلح (٣)

«تقاسيم الليل والنهار»

الجزء الثالث من «مُدُن الملح» لعبدالرحمن منيف: «تقاسيم الليل والنهار» تقع في اربعمائة وواحد وخمسين صفحة كرسها للحروب البينية بين الأمراء ليبحث في عمق المشاكل التي تحصل بينهم ويستشرف مستقبل شبه الجزيرة العربية ليقول: «أمّا موران، هذه الصحراء الغارقة في الرمال والنسيان، فكان أمراؤها المائة يتنازعون أجزاؤها كما تتنازع النسور. كانت دولهم تكبر وتصغر وبعض الأحيان تنتهي»

حميد الملا

وهو بذلك يؤرج لحالة كانت عليها الجزيرة العربية قبل تأسيس الدولة. في الحالات النادرة التي لا تحدث حروب أو غزوات يتنشق الناس عبير السلم، ينظم أبناؤها القصيد ويغنون وتتكرر سباقات الخيل وتخرج الصبايا إلى العيون دون خوف، حسب وصف الكاتب. في ذلك الزمان وبسبب التطاحن بين الأمراء فإنه لا يمكن لأميرين أن يجتمعا على عين واحدة للماء أو مرعى واحد. كانت بريطانيا هي من تدير الأمور فتدعم هذا الأمير أو ترفع الدعم عن الآخر لتخلق توازناً يراعي مصالحها ويُؤبد بقاؤها في هذه البقة الغنية بالنفط، فكانت تتركهم يقتل بعضهم بعضاً، فليس لدى بريطانيا الوقت لأن تتعامل مع هذا العدد الهائل من الأمراء الصغار والشيوخ، فما كان منها الا أن تختار الأقوى بينهم، فاختارت خريبط لحماية طرق القوافل، وطلبت منه «مراقبة الجيران والأتراك وشواطئ البحر، من ناحية الشرق».

وهكذا بدأت موران تمتد وتتسع، فكان لخريبط مقولة أصبحت بمثابة استراتيجية حربية له، حيث كان يردد دوماً على مسامع رجاله المقربين: «ما تقدر على البدوان، أولاد الحرام، ألا بواحد من ثلاثة: الذهب أو السيف، أو جنة الخلد التي تجري من تحتها الأنهار». عندها أصبحت موران دولة كبرى في تلك الصحراء مترامية الأطراف وتدين بالطاعة والولاء لخريبط «تدفع له الزكاة وتقدّم الجنود، وتصلى وراء الأئمة الذين بعث بهم إلى كل مكان.»

في هذا الجزء من خماسية «مدن الملح» يتطرق عبدالرحمن منيف إلى أحوال قصر الروض بعد أن امتدّ واتسع، وعلاقة السلطان خريبط بزوجاته والحمل والولادات بالبنين والبنات، والرهانات التي تحصل بين خدم القصر، والزيجات الجديدة وتأثيرها على باقي نسائه، والهمس والإشاعات المتداولة بخصوص تلك الزيجات. كل ذلك في وسط الحشد الهائل من الصغار والكبار. يصف عبد الرّحمن مُنيف قصر الروض بأنه شيْ عجيب: «عشرات الأجنحة والغرف التصق بعضها ببعض في آخر لحظة. على الجوانب غرف الحرس والخدم. في الوسط: البناء الرئيسي، وكان يشغله السلطان وثلاث من نسائه المقربات»..الخ.

هُنا يعرج مُنيف على وضع فنر وهو الأمير الذي توفت والدته وهو صغير، والدور الذي قام به والده في تقريبه إليه على حساب أخيه الأكبر خزعل الأقل فهماً ومعرفة وعلماً من فنر المقرب من بريطانيا. بريطانيا التي سهرت على تعليم الأمير فنر وتدريبه على فنون الحكم ودهاليزه وخباياه من خلال الوافد إلى موران البريطاني الجنسية هاملتون. فهاملتون كما يذكر لنا الكاتب «ليس واحداً، إنه الكثير في شخص، ومجموع الأشخاص في واحد». فقد كان هاملتون بمثابة مستشار للسلطان خريبط وفي نفس الوقت همزة الوصل مع بريطانيا العظمى: «ساعات النهار تكفي لأن يتحدثا في كل شيء. كيف تفكر بريطانيا، وكيف يفكر أهل الصحراء، ماذا تريد بريطانيا الآن وفي المستقبل، وماذا يريد السلطان.»

إذن لا غنى للسلطان عن هاملتون ولا مبرر لهاملتون للابتعاد عن موران ومعرفة ما يدور فيها من أحداث وأهمية ذلك للأمبراطورية البريطانية، فقد تلاقت الإرادتان وعقدا العزم على تبادل المصالح فيما بينهما. بعد توطد العلاقة بينهما عهد السلطان لهاملتون العناية بابنه الأمير فنر، فما كان من الأخير الا أن أخذه في رحلة إلى بريطانيا ليُستقبل في البلاط الإنجليزي ويحتفى به ويُكرم إضافة للهدايا التي حُملت اليه، كل ذلك زاد من أواصر الصداقة بين السلطان وهاملتون وزاد من التعاون بين البلاطين، اللقاءات بين السلطان وهاملتون كما يذكر الكاتب «كانت مزيجاً من الاستطلاع والاستفسار والعتب».

استطاع عبدالرحمن منيف أن يرصد وبذكاء كافة الإرهاصات الموجودة في مجتمع الجزيرة العربية من كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفتحت روايته الأعين على كل ما يمكن أن يلمسه القاري في ذاك المجتمع من إيجابيات وسلبيات، هيأت الأرضية لقيام الدولة. ونتيجة لتلك الحروب والغارات اضطربت موران وبدات التحضيرات لجولة جديدة من الحرب مما ولدّ الخوف والفزع للنسوة من تجرع الجوع، وفقدان الأولاد والأزواج، وساد الهرج والمرج في قصر الروض نتيجة لذلك، فالأخبار متناقضة حول تلك المعركة المسماة الحويزة التي أعقبت معركة وادي الفيض، حتى إنّ هاملتون كان يتوق بشوق عارم للمشاركة في هذه المعركة لو سُمح له بذلك.

فطوال تلك السنين بعد تلك المعارك لم تهدأ موران ولم تعرف الراحة فقد كانت في حركة دائمة، زيارات يقوم بها السلطان للقبائل، وعود وعهود تعطى بسخاء لزعماء هذه القبائل، أموال توزع، كل ذلك من استعداداً

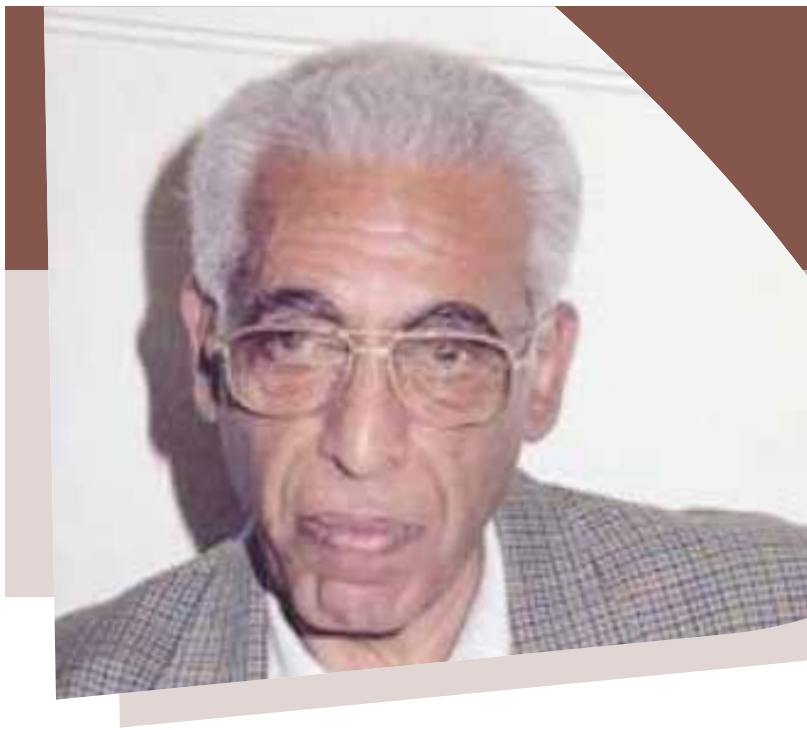

لحروب جديدة بعد وضع الخطط اللازمة، حتى أن خطة التقدّم البطئ والحصار لم تعجب السلطان ليقول (البدو روحهم ضيقة، وتعوّدوا على الغارة، أما تعقلهم، بدون أهلهم، وتقول لهم اصبروا فظني أنهم ما يفهمونا ولا يتحملون، وهكذا من حملة لأخرى، وما أن يعمّ السلام لفترة حتى تعود الحرب من جديد.

الغوص في أعماق المجتمع يتطلب معرفة ودراية ودراسة، وأعجب كيف استطاع عبد الرحمن منيف أن يجلو كل تلك التفاصيل حتى الصغيرة منها، كيف استطاع الدخول إلى نفوس شخصياته ومعرفة ما فئ دواخل أصحاب تلك الشخصيات: أسلوبهم في الحياة، تفكيرهم، علاقاتهم مع بعضهم ومع الأجانب وكأنما قد عاشرهم شخصيًا، وهنا يكمن سر عبقرية هذا المنجز. فعند تحليله للعلاقة بين أهل موران والأجانب يقول: «الطبع البدوي يتسم بالحذر، ويتحصن دائماً بالصمت أو التهذيب الزائد، وبعض الأحيان بإدعاء عدم المعرفة».

يختتم عبد الرّحمن منيف هذا الجزء من الرواية في التركيز على الدور الذي يقوم به هاملتون في تهيئة المناخ للأمير فنر للقيام بأعباء الحكم من خلال تدريبه وتعليمه اللغة الإنجليزية وتقريب المفاهيم إليه من خلال كتاب الأمير «أما الذي أتيح له أن يطلع على تجارب الآخرين، وأن يستوعبها وأن يمنحها من روحه وروح المكان الذي يعيش فيه، فعندئذ لابد أن يحقق نتايج خارقة».

تطرق الكاتب أيضاً إلى العلاقة المتأرجحة بين السلطان وبريطانيا بين مدّ وجزر، «تعاوده فترة وأخرى، أي السلطان، التساؤلات المرّة: هذول الإنجليز ما يتأمنون، ويجوز مثل ماهم مادين معنا مادين مع ابن مباح». وهكذا أرّخ عبدالرحمن مُنيف في هذا الجزء من ملحمته الخماسية تاريخ شبه الجزيرة العربية بأمانة وصدق ليقول: بأن من أكبر الأخطاء التي وقع فيها كثير من المؤرخين، أنهم جردوا التاريخ من روحه، من المكان الذي وقعت فيه أحداثه، ومن البشر الذين كانوا جزءاً من هذا التاريخ .

رحلة في أقاصي الموت

سوسن حسن

«حرب». هذه الرواية تصدرت مبيعات موسم الربيع في باريس. نهاب من كتابة اسم لويس فرديناند سيلين للعلن لما سببه هذا الكاتب من فوضى عارمة في الشارع الفرنسي قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الثانية. عرف بموقفه المعادي للسامية وبلغته العنيفة في الكتابة التي يصفها البعض «بالسوقية» والبعض الآخر «بالجريئة» غير المبالية. نسبة كبيرة من القراء تكره سيلين، ونسبة كبيرة من المثقفين والكتاب تحبه، لا بل وتعتبر من لا يحبه غير واعٍ بالرسالة الواقعية للحرب التي يقدّمها للعالم من خلال كتاباته. لا ننسى عبارته الشهيرة: «أصبت بداء الحرب في رأسي، داء لا يريد مبارحتي». قد نعتبر سيلين أكثر الكتّاب المتأثرين بما خلفته الحرب من بشاعة وجمال في ذات الوقت، وفكرة الموت ظلت تأسره طوال حياته.

مرّ على وفاة سيلين واحد وستون عاماً، ذوّب النسيان الضجة التي أحدثتها كتاباته، إلا إنه ومع الحرب الروسية الأكروانية، تمت إعادة كتابات سيلين الى الرف بعد العثور على ما يشبه السيرة والرواية، مخطوطة أدبية تتضمن مائتين وخمسين صفحة تدعى "حرب". تدور أحداث القصة في مدينة فلاندرز البلجيكية خلال الحرب العالمية الثانية، وتأخذ القارئ في رحلة بين الخيال والسيرة الذاتية، نواكب من خلالها رحلة نقاهة العميد فرديناند من اللحظة التي استعاد فيها وعيه في ساحة المعركة حتى مغادرته إلى لندن، بعد أن أصيب بجروح خطيرة. نتابع ما يعيشه العميد من أحداث في المشفى وهو المكان الذي يشكل نقطة العبور أو الحاجز إن صحّ القول بين الحياة والموت، فنتعمق في ذكرى الحرب من خلال شهادات المرضى من الجنود والمدنيين. يتعرف العميد خلال فترة مكوثه على نقيب يدعى بيبيرت، ويقرر الاثنان خداع الموت وتحرير أنفسهم من المصير الذي فرض عليهم، بحوارات شيقة عن ماض مخمور بالنسيان ومستقبل يتوجب العثور عليه قبل فوات الأوان. مؤثرة تلك المحادثات التي قد تجري في مكان تبغضه الروح والنفس في وضع حرب. ماذا يمكن للمستشفى أن يصنع من حكايات ؟

فكرة الموت في الحرب لا تنفك عن العبث في عقل سيلين، ورواية "حرب" تقع عند مفترق طرق أول روايتين له بين "رحلة في أقاصي الليل" و"الموت بالتقسيط". ربما يُشكّل المشفى رحلة ترميم ذاتية كان يحتاجها الكاتب للعودة للفكرة ذاتها، فالكاتب يدور بشكل أو بآخر في نفس المجرة الفكرية. يعتقد بأن الموت حقيقة الرجال في هذا العالم، وبأن الحياة ليست سوى سكر واستفاقة حزينة على ذات الحقيقة: "الموت".

وكأنما كل قطرة من دمائنا مليئة بالكذب عدا قطرة واحدة فقط تفضل حلمًا أكبر من الأرض، فالدنيا لا تسع سيلين لكثرة حروبها الشنيعة؛ هو الذي يريد أن يوبخ مفتعل الحرب بأبشع الطرق، ومداواة الناس من بشاعتها. في رواية "رحلة في أقاصي الليل"، يروي البطل تجربته في الحرب العالمية الأولى، والاستعمار في إفريقيا، والحالة الاجتماعية والنفسية الخاصة بالبشر، ويسرد ما رآه من عدم كفاءة ونفاق رؤسائه في الخنادق، وكيف شكّلت الحرب نهاية براءته ونزوله الى الجحيم دون عودة، وكيف قرر بعد ذلك كله ترك كل شيء والإتجاه لمهنة الطبابة والعمل على خدمة الفقراء في ضواحي باريس. ما يدعو للسخرية، لجوئه الى الهرب من الموت في أحد أماكن صناعته.

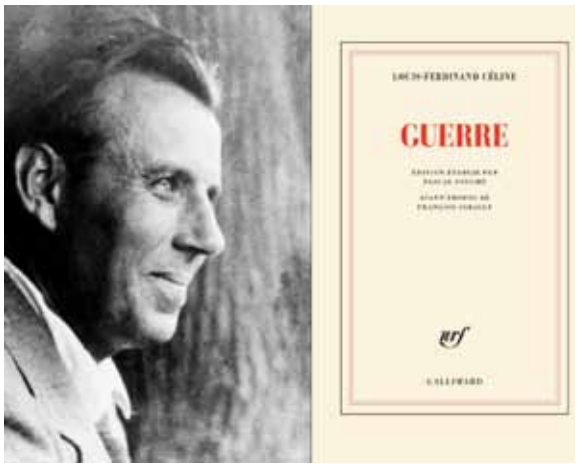

حيث تركتُ روحي..

النسيان أن تخز إبرة الذكرى قماش قلبك ولا توجعك.. فالذاكرة البشرية هي كائن خفي لا يبعث رحمته غالباً بقدر ما يكون الظل لمسخٍ مشوّه والجلاد في الوقت نفسه.

يقول الكاتب الفرنسي وأستاذ الفلسفة جيروم فيراري في مقدمة روايته «حيث تركتُ روحي»: ما كان يهمني في هذه الرواية، هو النظر في كيف يجد الإنسان نفسه، في وضعية تسمح له بممارسة التعذيب على الآخرين. فهل ينصف كل من تعرض للظلم المظلومين بعد تحرره من قيود الظالم؟ وماذا عن أرواحنا التي نسمع هشيمها المذوي تحت بلدوزر سلوكنا اللا إنساني بحق الآخر؟ وهل يتحوّل ببساطة ضحايا اليوم إلى جناة الغد؟

بتول حميد

قدم فيراري في هذه الرواية دراما سردية كثيفة أشبه بوثيقة تاريخية، فمن حيث البناء الروائي وتسلسل الأحداث والانتقالات الزمنية تمكن من جعل القارئ يتماهى معه عميقاً في مساورة سيكولوجية وفلسفية لأزمنة ومدن مختلفة عبر لغة رشيقة تستعين بتقنية «الفلاش باك». فما بين ذكريات يستعيدها الملازم «هوراس أندرياني» وذكريات يحاول النقيب «دوغورس» الفرار منها تتواتر الأحداث على هيئة رسائل أو مذكرات –مقسمة الزمن الظاهري للكتابة لثلاثة أيام ولكن الزمن الفعلي للحدث يمتد لنحو من 40 عاماً–. إذ استحضار الملازم للذكريات التي جمعته برفيقه النقيب دوغورس، جعل أحداث هذه الرواية تسير في أزمنة وأماكن مختلفة. أبرزها الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، ثم الجزائر في بداية العشرية السوداء.

تدور الرواية حول ضباط فرنسيين عُذبوا طويلاً في المعتقلات النازية ثم عانوا الأمرين من السجن ووجبات الذل والهوان في "فيتنام- الهند الصينية سابقاً"، ليتغيّر بعدها منحنى الحياة ويصبح الضحية جلاداً، ويقبع السجين أمام القضبان فيتحوّل إلى سجّان عبر انتقال الضباط الفرنسيين للخدمة في الجزائر أثناء حقبة الاحتلال الفرنسي لها في الفترة الزمنية "1830-1962».

يرى الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز أن الإنسان يحمل الشر بفطرته الطبيعية، وبأن عقبات الحياة تعد اختبارات حاسمة لقياس مدى إنسانيتنا. فماذا لو كان الاختبار الحقيقي الذي نواجهه هو تسلم منصب يمنحنا سلطة مطلقة؟ منّا من يروقه السير مع أمواج الحياة بمدها وجزرها مثل «الملازم أندرياني» فلا يكلّف نفسه عناء السؤال ليجسد عبر سلوكه مكنون الشر الفطري للإنسان. ومنّا من ينهك روحه المعذبة بالأسئلة دون جواب مثل «النقيب دوغوروس»، والذي تحوّل فيما بعد إلى أداة تنفذ مآرب السلطة علناً في الليل وتلعنها سراً في الصباح الباكر، السلطة التي قال عنها رولان بارت: السلطة تسخر كل الأشياء من أجل خدمة مصالحها. إذ نجحت السلطات الفرنسية في سلب روح النقيب وحرمته من حق الإدراك الذاتي وحق الندم على سوء أفعاله تجاه المعتقلين الجزائريين من أعضاء جبهة التحرير الوطني، وحوّلت رغبة الجنود بالحياة إلى توقهم من أجل التضحية غير المجدية ليصبحوا على يقين حتى بأن الإحساس خيانة والشعور بالآخر جرم بحق الدولة، الدولة التي هيكلها الأول الإنسان الصناعي، رغبةً منه بتخليصه من الحروب التي خربت دياره ولكنها ما أن أمسكت بزمام الأمور لتتمكن منه عبر إقحامه في حروب أكثر دموية، وسرعان ما تحوّل الصراع الفردي إلى صراع جماعي متمثلاً بدولة ضد أخرى، وتحوّل الإنسان إلى مجرد رقم في سجلاتها ومانشيت في جريدة أو خبر عاجل يعلن تضرج دمه نشرة الأخبار.

في الرواية مقاربة تأملية لمفهوم تجرد الإنسان من إنسانيته، بأن يتجاوز كل القيّم والمعايير الأخلاقية لبلوغ هدف لا يؤمن به. استوحى كاتب الرواية بعضا من شخصيات وأحداث الرواية من أحداث حقيقية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، مثل ذلك المشهد الذي يقبض فيه على أحد شخصيات الرواية «طاهر» وتُلقى عليه التحية العسكرية قبل تسليمه، الذي استلهم تماماً من حادثة القبض على المجاهد العربي بن مهيدي، من مقطع لضابط فرنسي سابق، مستذكراً الأماسي التي أمضاها مذهولاً بالعربي بن مهيدي إبان اعتقاله واعترافه أنه قبل تنفيذ الإعدام ألقى تحية جزيلة مع مفرزة صغيرة من الجيش تعبيراً عن الإعجاب بشجاعته وصموده تحت وطأة التعذيب الذي لم يدفعه أن ينطق بحرف واحد.

إن النكبات المستمرة التي تخوضها الشعوب تجعلها تنسى من تسبب لها بالدمار الأسى ولا تفكر سوى بمشكلاتها الراهنة، فحتى المشاعر قد تتغيّر بمرور الوقت فيغدو المحتل/ العدو بنظر المتنفذين صديقاً حميماً.

ما أن تقرأ عبارة الملازم هذه "كل شيء لا قيمة له سيدي النقيب، كل شيء يُنسى بسرعة كبيرة، دماؤنا والدماء التي أرقناها مسحها منذ فترة طويلة دم جديد و سيأتي بعده دم آخر"، تستشعر ألماً فادحاً يوازي البكاء لرخص قيمة الإنسان ودمه المسفوح تحت ويلات الحروب. فحين زار الملازم أندرياني الجزائر بعد سنوات من انتهاء الاحتلال الفرنسي، ذهب إلى الأمكنة التي لونتها ذاكرته قانيةً بدماء الجزائريين، وعبر بالمطار الذي يحمل اسم أحد أعداء الأمس القريب دون أن يسمع همساً لعتب عما ارتكبه بحق الجزائريين من جرائم شنيعة. بل رحبوا به واحتسى الشاي المعتق في أحد بيوتها، لتهلل زغرودة الدم التي تهب الإنسان أن يكون مرتعاً للنسيان!

حيث تركتُ روحي» رواية من أدب السجون ولكنها تروى بلسان الجلاد لا الضحية، الجلاد الذي سينسى روحه في لحظة ويظل يبحث عنها أبد الدهور: «فقدتُ منذ زمن بعيد الحق في التضرع إليه، إلّا أنّي أصلي له، أريد منه فقط أن يسمح لي بالعودة للحظة واحدة فقط.. حيث تركتُ روحي».

أين مظفر ؟

إنعام كجه جي*

لم نكن نعرف أين نشتري دواوينه، لكنّ قصائده كانت تصلنا منسوخة بخطّ اليد ومخبأة في جيوب زملائنا في كلية الآداب، مثل المنشورات السريّة. ففي تلك الظهيرات الساطعة لبغداد ١٩٧٠، حين كانت الثنائيات العاشقة تتمشّى تحت الأشجار الرؤوم لحي الوزيرية، بين كلية التربية وأكاديمية الفنون، فإنّ البنات لم يكنّ ينتظرن سماع كلمات غزل تقليدية بل أبياتاً عامية لم يطرق الآذان مثلها من قبل. من الشاعر؟ مظفر النواب.

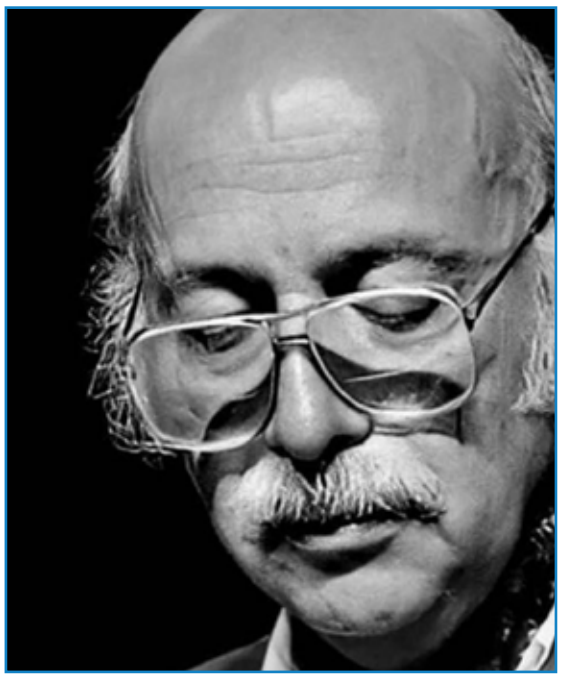

مظفر النوّاب

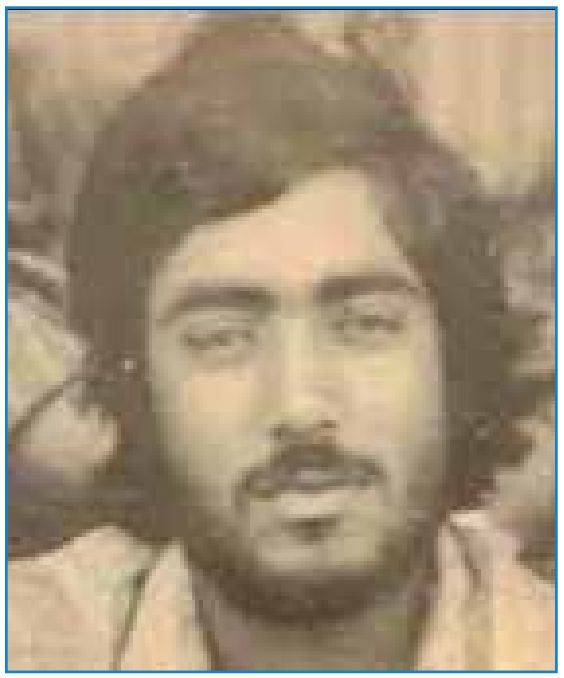

سعيد العويناتي

كنا نحفظ عن ظهر قلب أبياتاً للرصافي والجواهري والسياب، إلى أن جاءنا زميلنا رياض الوادي، في جيب قميصه الملاصق للقلب، بتلك القصيدة الملعونة المباركة الشتّامة المقذعة المارقة الغاضبة الجارحة المتمرّدة السافرة المحرّضة والمختلفة. مختلفة عن كلّ ما عرفنا من شعر، وخارجة عن كلّ اللياقات والنصوص. ومن يومها، انزرعت «القدس عروس عروبتكم» على الألسن وأخذت مكانها بين المحفوظات. كان سعيد العويناتي، زميلنا البحريني في قسم الصحافة، أكثر المأخوذين بالقصيدة. دفع حياته ثمناً لانتمائه لليسار. ثم صارت قصائد مظفر النواب تأتينا على الحنجرة الملتاعة الياس خضر، مغنّي «للريل وحمد» الذي يستحق أن يكتبوا في هويته، في خانة المهنة: مقطّع نياط القلوب.

ثم جاءت «جنح غنيدة» و«ألمح عمتي من بعيد/ وتضمني بعبايتها/ عمّة الشمس ماتت وأنت ما ردّيت/ عمة الشمس ماتت وآنا ما ردّيت/ رديلي الفرح/ ردّيت/ معضد باب يبجّيني وأحن حنّة حمامة بيت». كم كررناها بالغناء حيناً، وبالهمس الرهيب تارة، وبالدمع مرّات. صار مظفر النواب أسطورة أول الشباب، نتلفّت نبحث عنه، فنسمع أنه في بيروت، في دمشق، في عدن، مع ثوار إريتريا، مع فدائيي فلسطين، هو في الخرطوم... المنافي تدور والسنوات تترى والشاعر الذي عبر ثلاثينه على «جنح عصفور» بلغ الثمانين ولم يعد «العمر طوفة طين»، كما كتب لغنيدة، حلوة الحلوات. وبغداد دخلها الأميركان وبابها كان مردوداً وقفله مستعصياً و»ما رهمن ولا مفتاح.»

في بيته الريفي في النورماندي، أهداني الرسام أرداش كاكافيان نسخته المهترئة من ديوان مظفر. كان ثملاً دامع العينين وهو يروي وقائع اعتقالهما في بغداد، مع حشد من الرفاق. لم يكن الفنان الأرمني يومها سوى فتى بسروال قصير، راح مع رفاقه الكبار «بين الرجلين». وفي ذلك البيت الذي استضاف شعراء كثيرين، قرأنا قصيدة بلند الحيدري التي يسأل فيها: «أصحيح يا مظفر/ ظل ذاك الغصن رغم الموت/ أخضر؟». فقد ظلّ مظفر النواب الغائب الحاضر في كل مكان.

كم ارتفعت قامتي، وأنا أصل إلى باريس للدراسة، أن أجد زملائي من تونس وموريتانيا والجزائر وسوريا يحفظون قصائد مظفر النواب ويتغنون بها في الجلسات. هذا شاعر من عندنا منح لمفرداتنا العامية فصاحة نابعة من بلاغتها. وكانت صديقة عراقية تفرش أمامي، رسائل ومناديل ورقية موقعة بخط الشاعر، كتب لها فيها ما يقوله الرجل وهو يبحث عن المرأة المستحيلة والوطن المستحيل. لماذا لا تنشرين هذه المخطوطات؟ تلملم «فاء» كنزها الصغير وتسكت كما سكتت شهرزاد عن الكلام المباح.

ما أيسر القفز من باريس إلى لندن. نسمع أن مظفر النواب سيقيم أمسية هناك فنسرع ونحجز أماكننا في القطار السريع. قطار حديث يعبر تحت بحر «المانش» في ساعتين ونيف، لا يشبه «الريل» المذكور في القصيدة المشهورة إلا في طيف الشجن الذي يرافق قاطع المسافات، السارح وراء النافذة. نصل ونتوجه من المحطة إلى القاعة الفخمة للجمعية الملكية. نجلس في المقاهي ننتظر موعد الحفل. لم نأتِ لنتفرج على المدينة بل من أجله وحده. نصغي إلى الشاعر الذي عثر على الحنجرة المثقفة للباحث سعدي الحديثي، دكتور برتبة مُنشد، وشكّل معه ثنائياً لطيف الانسجام. لم يعد يقرأ شعره كما نحيب الندابين. يلقيه بصوت أجش تاركاً لحادي العيس التغزل بـ «زين الأوصاف» في البادية.

لست أفضل من يكتب عن مظفر النواب ولم أعرفه عن قرب. لكنني مثل كلّ العراقيين أحببت شعره وشغلتني صورة الشاعر المنفلت الضارب في المتاهات. في المنامة، سمعته مع سعدي الحديثي لآخر مرة، وقد احتشدت الصالة بجمهور خليط. وجهاء جدد وسياسيون معتزلون ومناضلون مخضرمون ومثقفون توّابون تطربهم الكلمة وتشجيهم أصداء ما فات. وعندما ارتفع صوت الشاعر بمطلع «مرينا بيكم حمد»، انفجر التصفيق وصرخة الاستحسان. كنا كلّنا نحفظ القصيدة، وننتبه لمفارقات الاسم.

*روائية عراقيّة

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

التقدمي

التقدمي العدد 175 ـ يونيو 2022 السنة عشرون SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

هنا
درّة القلب

ببحرين
فيهما لؤلؤٌ والليالي جنانٌ
وقد داعبَ الشِعرُ عطراً نثيثاً
هنا بلدٌ من شموسٍ وطيب
فكيفَ يظلّ النعاس!
هنا البحر توأمهُ الحبّ حدّ الجمال
قفوا في حدود اللآلئ وفخراً
هنا درّة القلب هنا الأرضُ يلفحها البحر
تاهت على سعَفاتِ النخيل تخرجُ جنيّة الفجرِ تلهو
أضاءت شموع الحيارى تمدُّ ضفائرَ صحوٍ
ببحرين سرّين، ينكشفان ورمشاً شغوفاً
نخيلاً يقبّل بعضَ العيون ليصعد
بخوراً فوق السحاب نهارا بهيّا..

بلقيس حسن

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com